الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

ايلول

١٩٧٧

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

العدد القادم

.. وبكل فخر واعتزاز تنجز مجلة الثقافة مهمتها الاولى والكبرى في عددها القادم الذي يحرره نخبة من أدباء المملكة العربية السعودية ، تلك النخبة التي طالما تاقت النفوس للاطلاع على أدبها ، ونهضتها الفكرية ، وبخاصة في هذه الفترة التي تتطلع فيها المملكة العربية السعودية الشقيقة الى حياة أفضل والى مثل عليا في مرافقها الحيوية كافة ..

ونحن اذ نسهم في اصدار هذا العدد من مجلة الثقافة بالكشف عن القدرات الادبية والفكرية في المملكة ، فاننا ، وبكل تواضع نعتبر أنفسنا قد قمنا ببعض واجبنا نحو أشقاء عروبتنا وما زلنا نتلهف لمعرفة أسمائهم الكبيرة وأدبهم الرفيع .

ولا نقول بأننا سنوفي الموضوع حقه لاننا وبقدر طاقتنا استطعنا أن نحصل على ما يرضي ضمائرنا . وليس لنا الا الانتظار للكثير الكثير من نتاج أدباء المملكة العربية السعودية لنحقق ما نطمح اليه لا في العدد القادم فحسب فأعداد المجلة القادمة كلها ستكون منبرا لهؤلاء الادباء الكبار .

مدحة عكاش

من روائع الرسول

قدري حافظ طوقان

يمر الزمن وتزداد عظمة الرسول وضوحا وجلاء ، وكلما تعمقنا في دراسة روائعه وجوامع كلمه تجلى صفاء المعنى وسمو المرمى والحكمة الزاخرة والحق المبين ٠

وحين نستعرض بعض روائعه نجتلي محاسن أغراسها، ونمتع النفس بنفائس أزهارها ، ونغذي الروح بما فيها من حكمة وخير وجمال ٠

أقول حين نستعرض هذه نجد أن من الاحاديث مايعبر أروع تعبير عن حقيقة الظواهر الكونية وعن القوانين الطبيعية التي تسيطر على هذا العالم ، فهي وان قلت عدد كلمات، فقد حوت من الحكم والمعاني ما يبهر العقل والقلب والعاطفة ، يهتدي بها الضال في الفلوات ، ويرنو اليها الخابط في الظلمات ، تنير الفكر وتهدي الى الغاية ، كما ترشد الى الحقيقة الخالدة ٠ فيها الهدى ، وفيها الموعظة وفيها العبرة ٠

كان ابراهيم قرة عين الرسول ، يسر بمداعبته ويطمئن الى رؤيته ، يرمقه بعطف ليس بعده عطف ، ويخلع عليه ألوانا من الحب والحنان تتمثل فيها الرحمة الابوية في أقوى صورها ، والعاطفة الانسانية في أسمى معانيها ٠

لقد فقد محمد أبناءه وبناته ولم يبق له غير فاطمة وابراهيم ، لهذا لا عجب اذا طفح بشرا عند مشاهدتهما ؛ وامتلأ غبطة وسرورا في لقياهما ، ولكن شاءت الحكمة الالهية أن لا تطول تلك الغبطة وذلك السرور ، وأن يفجع النبي في ولده ابراهيم ، وهنا (انطفأ بموته ذلك الذي تفتحت له نفسه زمنا ، وزادت عينا محمد تهتانا ، وهو يقول : يا ابراهيم لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزننا عليك بأشد من هذا ٠٠) ٠

كسفت الشمس في يوم الوفاة ، ورأى المسلمون في ذلك كرامة ٠ فقال بعضهم : لقد انكسفت الشمس لموته ٠ وهم على ما يظهر على حق فيما يقولون ، فلقد وافق موت ابراهيم كسوف الشمس ، فلماذا لا يرى بعضهم في هذا معجزة ؟

أليس الله بقادر على كل شيء ؟

أليس الرسول كريما عند مولاه ؟

لقد حسبوا أن الله أراد أن يكون في هذه الظاهرة العزاء والسلوى لنبيه الكريم ٠٠

وهنا ٠٠٠ يتجلى في محمد ٠ على فرط حبه لابراهيم وشدة حزنه عليه وجزعه لموته ــ اخلاصه للرسالة ، ويرى في القول خروجا على الدعوة التي بعث من أجلها ، ولا يرضى أن يرى الناس في هذا معجزة ، فينسى أن ابراهيم ولده ، وينسى أن ابراهيم كان رجاءه وأمله ، وينسى أن ابراهيم مات ولما تتفتح نفسه له ٠٠٠ وينسى فجيعته وهذا الهول الذي نزل به ، ويقف خطيبا ويقول : (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي) ٠

صلى الله عليك ٠٠٠ وهل بعد هذا من عظمة ؟ ففي أحرج المواقف ، في أدقها ، لم تنس رسالتك ، ولم تغفل عن الحق الذي أتيت به ، وأبيت الا أن تكون مخلصا لدعوتك ولحقائق الوجود ، وجئت بدستور كوني وضع حدا لسخافات المنجمين وأقوالهم ، ولاعتقادات الناس في الظواهر الطبيعية والكونية ، وبأن ما يجري في الكون لا يتقيد بأحد ، ولا يسير ارضاء لبشر ، بل ان هناك قوانين تسيرها ، وأنظمة تسيطر على حركاتها ، أوجدها الخالق منذ الازل لا تحيد عن الطريق الذي رسمها ، وقد نزهها عن الشذوذ والتناقض ٠

المنبر الساحر

د. عبد الكريم الأشتر

ما أكثر ما أشكو الى نفسي ما يغاني الاستاذ في جامعاتنا من هم التفكير ، فاني أراه في كل صباح ، في طريقه الى الجامعة ، مطرقا ، آخذا في حساب المعلوم والمجهول ، كأنه يحصي عثرات الايام ، فيدخل في الخضرة والزهر دون أن يفطن اليهما ، ويلقي على النهر الذي يجري الى جانبه نظرة عابرة ، لا تكاد تميزه مما حوله ٠ فاذا جاز باب القاعة الى المنبر ، وأخذ سمته ، ونظر في العيون المتطلعة اليه ، تحرك في أعماقه المعلم ، فنسي كل شيء من حوله ، وأخذ ينشيء الحياة ويقيسها ، كأنما سحره المنبر فقطع ما بينه وبين واقعه ، ورفعه درجات الى عالمه المسحور الذي يعرفه أستاذ الجامعة ساعات من العمر ، ولا يعرف النبي عالما سواه ٠

فاذا شكوت الى نفسي ما نعاني تمثل لي هذا المنبر الحي الذي أقف من فوقه ساعات كل يوم ، أخاطب النفوس الضاوية وأناجي حقائقها ، حتى تتفتح علي منها أكوان رائعة استلقي في أحضانها وأذوب في حرارتها ، فكأنني أتسرب في شقوق الارض أسمع هدير الحياة الخفي ، وأراها في مهدها العميق تتنفس وتدب وتسعى وتطير ٠ ثم أخرج منها بغتة ، فيخالطني أسى أحسه ، وأراني أجمع أوراقي في بقايا النشوة الغامرة ، وأهبط درجات المنبر الى عالم الزيف !

فليس هذا المنبر أعوادا من الخشب اذن ، ولكنه عالم الحقيقة الذي أعيش فيه ٠ من رقعته المحدودة أجوب أقطار الارض ، وأتسلق حيطان الطبيعة ، وأهز الموتى في قبورهم ، وأخالط الناس في أحلامهم ٠ تأخذني النشوة فأهتز كما تهتز الغصون ، وأغضب فتتداعى الكواسر في كل جبل ، وأخاف فتهب علي الرياح التي هبت على أوديسيوس ، وجلفر ، والسندباد ٠

فأي حياة أغنى من هذه الحياة ؟ وأي عالم أبعد من هذا العالم ؟ أجمع في يدي كنوز الملاحم والاساطير وحقائق الدنيا ، وفي عيني رؤى الاحلام وعيان الحس ، وفي قلبي آمال البشرية وأفراحها وأحزانها ، وأنا لم أجاوز ، في **مدى البصر ، ساحة هذا المنبر !**

وتنكسر لي عليه حدود الزمان والمكان ، فتستوي العصور والقارات ، وتختلط الامم ، ويتداعى خصوم التاريخ وأصدقاؤه وعشاقه ٠ فمنه أطللت على حرب البسوس ، وداحس ، والغبراء ، وشهدت طروادة ، وفتح بيت المقدس ، وعمورية ، وعرفت هيلانة ، وعبلة ، وليلى

وجولييت ورأيت المهلهل ، وعنترة ، وعمرو بن معد يكرب ، وصلاح الدين ، ولويس الاسير ·

حياة الناس تفرقني ، والمنبر يجمعني ويوحدني · آتيه مثقل القلب أنوء بأعباء الحياة وهمومها ، فيتلقاني في لطف ، ويبدأ يستلني شيئا فشيئا من عالم الحقد والحسد والنميمة والخيبة ، ويطهرني ويغسل قلبي · جئته بعد هزيمة حزيران ما أكاد أبصر اليه الطريق ، ممروزا تائها فنظرت من فوقه الى عيون طلبتي الغارقة في أحزانها ، فما أسرع ما أحسست بالخجل ! لقد رفعني المنبر اليه ، فكأني أتحدث فيهم بلسان أمتي وتراثها العريق · كأني صوتها المنبعث من أعماق تاريخها ، فأنا ضميرها وعينها · بدأت أتحدث اليهم في بطء كأني أسير بهم الى معركة خفية كانوا يريدونها · ثم غامت عيناي فلاحت لي، على أسوار التاريخ ألوية أجنادين ، وحطين ، واليرموك ، والقادسية ، وعين جالوت ، وماج في قلبي التاريخ كله ، وتوهجت الصحراء حتى لقد أحسست حرقة الرمل ، وارتفع من حولي تهليل الحق ، فرأيتهم يتحركون ، كأنهم يفيقون من النوم · فهنا استرخى صوتي وابتل حلقي ·

وجئته يوما أقرأ عليهم نصا لاحد الكتاب يبكي فيه ولده الرابع ، بعد أن دفن بيديه من قبله اخوته الثلاثة · وكان الكاتب يتفطر في النص ويسكب فيه آلام عمره كلها · وقد كتبه فور عودته من المقبرة ، بعد أن نفض يديه من تراب ولده كما قال · ابتدأت أقرأ النص في غير احتفال ، كأني أريد أن أصرفهم عنه · وكان المنبر يرقبني في صبر · وسرعان ما أحسست أن الرجل يحمل في النص ظلمة القبر والقلب معا ، وآلام الشيخوخة وظمأها ، فكأنه يجر وراءه ، من المقبرة الى النص ، خيط الدم الذي يصله بها · وما أدري كيف تمثلت ــ والكاتب يصف مرض ولده قبل أن يموت ــ مرض ولدي آنذاك ، فاختلج صوتي كأني على فراشه · ولكني تماسكت ،وسكت قليلا · ثم عاودت ، وكان الكاتب يقترب من نهاية النص وقد أخذ يناجي أولاده الاربعة الذين ماتوا متعاقبين ، فيسألهم أن يقفوا في جنان الخلود ، ويفتحوا لربهم أكفهم الصغيرة ويسألوه أن يلحق بهم أباهم فقد أضناه الصبر · فما لبثت أن احتبس صوتي ، فأسرعت ، فتناولت نظارتي السوداء فركزتها على عيني ، وأشرت الى أحد الطلاب ، على غير اتفاق ، بأن يتابع عني قراءة النص · وقلت في نفسي : يا للمنبر ! كيف يقفني هذا الموقف !

على أن سحر المنبر يستحكم في ساعات الصباح ، والنفس صافية ، وغدير اليوم ، في ساعاته الاولى ، لم يضطرب بعد · فحينذاك تنفتح على المنبر عوالم لا حدود لها ، وتبدو الحياة في عيني كالبستان العظيم : لون وطعم ورائحة وحفيف · فما أدري ، كأنماينبت لي على المنبر جناحان فأطير وأحوم ، وأنقبض وأنبسط · ويحس طلبتي أني أدور في الآفاق نهما ظمآن ، كأني أضطرب في صدر الحياة ، كأني أحاول أن أعب من نبع الازل ، وأجمع مفاتيح الكون في يدي ! فحينذاك يسحرهم المنبر كما سحرني ، فيذوقون معي لحظات من نشوة النفس لا تقاس بمقاييس الزمان ·

فاذا اجتمع الى الصباح الربيع ، تهدلت على النوافذ أغصان ، وفاحت عطور ، وتدفق تيار عجيب من المحبة نظل ندور فيه · فحينذاك أغادرهم من النوافذ المفتوحة الى الحدائق وأجرهم ورائي ، نتوثب كالاطفال ، ثم نعود مع الدقائق الاخيرة ·

قرأت مع طلبتي ، على المنبر ، في مثل هذه الساعة من الصباح ، نص المتنبي الذي وصف فيه معارك سيف الدولة مع الروم سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وقد ظفر بالنصر ، وبابن الدمستق ، ونال من الدمستق نفسه منالا صعبا · واستدعاني المنبر منذ أول الطريق ، والصباح يفتق في كل عين · وشق المتنبي والربيع كلاهما طريقه الى القلب ، فغادرنا حلب الى مرعش ، ثم تجاوزنا الثغور ،

والمتنبي والربيع يفعلان فينا ما لا يفعله شيء ، وقد استحكم سحر المنبر فنثرني مع الجيش الغازي في يومه المشرق الذي وصفه المتنبي ، ذي الشمس الساطعة ٠

كنت أحس بـ الحين والحين أن المنبر يتحرك تحت قدمي ، ولكني غائب بين اليقظة والمنام ٠ وأخذ الجيش العربي يتقدم بخيله الاصيلة الجميلة ، فيراها الروم كالقدر القبيح ٠ وما تلبث الحصون أن يعييها الصبر ، فتلقي بأهلها وتزول ٠ ويأخذ المتنبي ، بأفعاله حينا وممدود الصوت حينا ، يحرك الجيش بعدها حركة خفيفة سريعة كما يتحرك السحاب ، فيزحف على السهل والجبل، وتخوض خيله الفرات فيغمر أجسادها فلا يتبين الا رؤوسها وأعناقها وتخرج فتطوي الارض ، وتكر شمالا وجنوبا ، ويقع جيش الروم في قبضتها ، ويقبل المتنبي على الامير متهللا مخضبا مختالا لا تسعه الارض ٠٠٠ رفعت وجهي عن الكتاب، فلم أبصر أحدا : كانوا جميعا ما يزالون في أرض التاريخ العظيم ٠ تلك ساعة من ساعات المنبر التي لا تنسى ٠

على أن المنبر يفقد سحره حين تنقطع صلته بالعيون الشاخصة اليه ، فحينذاك يعود كتلة بليدة من الخشب لا يحركه شيء ٠ وما أتمنى حينذاك شيئا كما أتمنى أن تنقضي الساعة لازيح كابوسه عن صدري ٠ وما أدري ما السر في هذا كله ، فقد تستهوي المادة الصعبة الطلبة في ساعات ، وقد لا تستهويهم المادة السهلة في ساعات ٠ وقد يتحرك في شيء لا أفهمه في ساعات ، فأحسب أني أمور بالحياة ٠ وقد يسكن في شيء لا أفهمه في ساعات ، فأحسب أني مكلف بسكنى القبور ومسامرة الموتى ! والغريب أني منذ أعتلي المنبر ، في دقائقه الاولى ، أعرف الى أي جانب أميل ٠

على أني قد أبدأ الساعة وأنا أحسب أني أستنطق الجماد ، وأنفخ فيه الروح ، فتبدر من أحد الطلاب بادرة لا أرضاها ، فما أشعر الا وقد برد في أعماقي كل شيء ٠ وحينذاك ما تنفع في حيلة ٠ تنغلق أبواب النفس وتحكم أقفالها ، ويبدأ الكلام يسترخي ويصطف بعضه الى بعض في رتابة وملل أحسهما يسيلان من كل عضو من أعضائي ٠ وما أحسب الطلبة يعانون من ساعة ما يعانون من ساعتي تلك ٠ فلهذا أعرف أنهم يتواصون دائما بالتزام الحذر ٠ وتراهم يدورون بأعينهم يتفحص بعضهم بعضا ، خشية أن تقع بادرة لا يتوقعونها ، فيعانون بعدها مخاض الساعة كلها ٠

ثم اني في الحالين ، ما أكاد أغادر المنبر حتى أشعر بالكلل ٠ وقد ألبث ساعة أو ساعات مكدودا واهنا من شدة الانفعال ٠ وقد أعاني النهار كله ، ثم أحاول أن أنام فما أستطيع ، فأفيق في اليوم التالي ومن حول العينين هالتان سوداوان ٠ وأحسب أني سأقضي يوما تعسا على هذه الحال ٠

ولكنني للعجب ما أكاد أسير الى المنبر وأعتليه حتى يتبخر عني احساسي بالوهن، ويبدأ سحر المنبر يطغى علي، ويبدأ هذا الاحساس الحي اللطيف بجمال الكلمة وقدرتها على الاثارة يملأني بغبطة أجهل بدايات يقظتها في النفس٠ كأني في عربة مجهولة تتحرك بي في اتجاه الافق القريب في طرق رخوة مبللة لا تراها العينان ! فحينذاك يبدأ يهدر في الاعماق صوت رائع تتجاوب به أطراف الكون كلها ، وكأني أرى الحقيقة عيانا كالفكرة المجردة ، وأنا ألاحقها باللفظ والاشارة ، وأحاول أن ألتقطها بملاقط الحواس الخمس : باليدين والعينين والانف والاذنين وصفحة الجبين٠ وأرى أصابعي تتحرك وتلتوي في حركات مبهورة وأتحسس جبيني كأني أوشك أن أبسط تجاعيد الفكرة ٠ والطلبة أمامي تلتمع أعينهم وتنقبض أيديهم كأنهم يسابقونني اليها ٠ فما وجد الصوفية حينذاك ؟ وما غبطة العارفين ؟

دمشق — **عبد الكريم الاشتر**

دعوة إلى الحب

عدنان قيطاز

سكبت من الحب للشاربين ... كؤوسا .. فمن شاء فليسكر

هو الحب عندي سلاف تدار ... ألذ من الشهد والعنبر

فياظامىء القلب .. أقبل الي ... وعب هنيئا .. ولا تقصر

وذقها كما ذاقها الاولون ... مضمخة بالشذى العبقري

وودع همومك قبل المشيب ... وداعا الى ساعة المحشر

★ ★

كبرت عن الطيش قبل الاوان ... ولكن قلبي لم يكبر

طفولته بدعة الناظرين ... وحكمته خمرة الاعصر

غفرت له نزوات الحنين ... ومن عادة القلب أن يجتري

وغمست بالجرح .. جرح الاباء ... يراعي .. فمن وهجه أسطري

وهذا الوميض على مقلتي ... بقايا من اللهب الاخضر

★ ★

أحن الى المتع الغاليات ... حنين المقيم الى المهجر

وعاودني الشوق في الاربعين ... فلم أتجهم ولم أنفر

هو الحب أثمن ما في الوجود ... يدل على كرم العنصر

دعوت .. وشعري نشيد الشباب ... وأهزوجة الوطن الاكبر



لم يلفت نظري للوهلة الاولى ..
فلم أجد به ما يجبرني على ذلك ..
لكنه حين تقدم مني ليعزمني على فنجان قهوة لم أتردد ، فقد كنت بحاجة ضرورية لملء فراغ ذلك النهار الصيفي الرطب . وجلسنا متقابلين الى طاولة صغيرة تطل على الرصيف ، ومن خلف الزجاج أخذت أرقب المارة ، وأنتشي بتلك المراقبة مهملة تماما وجود انسان يجلس معي و .. هو مضيفي .

على الرصيف كانت بعض الاوراق الممزقة منثورة لكن .. تمنيت لو استطعت أن أترك مكاني لاجمع تلك الاوراق .. ليس حبا في أن يكون الرصيف نظيفا .. فهذه ليست مهمتي .. لكنني أحب قراءة القصاصات .

ذات يوم وجدت قصاصة صغيرة مزروعة في التراب أمام بيت الجيران المقابل لجيراننا ولزميلتي في المدرسة ويومها .. أمسكت بها وهززتها في وجهها ..

ـ انظري .. انني أملك كنزا يخصك ..

احمر وجهها .. وأخذت تستعطفني كي أعيد لها القصاصة مخافة أن يساورني الشيطان فأسلمها لوالدتها .. ولكنني انتهزتها فرصة كي أخبرها بدوري بأنني أعجب بأخيها وأنني أتمنى أن يكتب لي بورقة كتلك كلمات حب وغرام .. وأذكر أنها وعدتني بذلك لكن أخاها رفض أن يكتب .. لقد كان يحب ابنة الجيران الاخرى ..

وتنبهت حين وضع الجرسون فنجان القهوة ونظرت للرجل الجالس أمامي وابتسمت معتذرة فسمعته يقول:

ـ أين سرحت كل هذه اللحظات؟

ـ كنت أرقب المارة .. و .. أوراق الرصيف !!

وتعجب : وهل في الرصيف ما يجذب؟ انها قمامة بلا رائحة ! . زفرت بضيق وقلت :

ـ لا تقززني سأشرب القهوة ! ألا تعرف آداب الاكل والشرب ! ماذا درست اذن في درس العلوم ؟؟

احمر وجهه خجلا .. وارتفع حاجباه دهشة !!

من أنا حتى أكلمه بصورة كهذه؟ اعتذر .. وصمت ..

وأخذت أراقبه وهو يمتص دخان سيجارته ويلتهمها كما تلتهم الارصفة غبار الزحام أحسست بالخجل في نفسي .. ومددت يدي لارفع فنجاني وأرتشف منه الرشفة الاولى .. فرأيته

يسارع ويمد علبة الدخان :

ـ تدخنين ؟

ـ لا ٠٠ لم أجرب بعد ٠٠

ـ ولم ؟

ـ أجد كل المدخنين يشكون من متاعب الدخان ٠٠ وأنا لا أريد أن أجلب لي أية متاعب !

ـ هل أفهم من هذا أنك انسان تعيش بلا متاعب ؟٠٠

ـ تستطيع أن تفهم ذلك !!

وأقفلت عليــه باب الســؤال والتحقيق الذي أكرهه وخاصة في ذلك النهار الرطب ٠٠٠ بدأت أرشف قهوتي ٠٠ وبيني وبين نفسي كنت أتساءل :

ـ من هذا الرجل ؟!

ولم قبلت دعوته ؟!

ولماذا تصرفت بحماقة للمرة الالف بعد أن كنت قد قررت ألا أعود لهـذا ثانية ؟!

زفرت بداخلي : كم مرة قررت، وكم مرة عدلت عن قراري !! مــاذا أستفيد أنا من قصاصات الورق التي أجمعها لاقرأ كلماتها المقضومة ؟ وماذا أستفيد من مجالسة أشخاص لا أعرفهم لمجرد أن أعرف شيئا عنهم !

ياله من فضول ٠٠

ومنذ متى لم تكن المرأة فضولية؟! أحيانا أتصور أن الله خلقنا فقط ٠٠ لنكشف الاغطية عن كل الاشياء : فاما أن نجد ما يبهر !! أو ٠٠٠ ما يصدمنا بعد أن نعاني مشقة الكشف !!

استطال صمتي ٠٠ وأحسست به يتململ ٠٠ ثم قال :

ـ أعتقد بأنــك تودين تذويب ساعات النهار !٠

ـ هه ٠٠ أجل ٠٠ ان ساعاتــه جامدة !!

فجأة ٠٠ خبط بيده التي تمسك علبة السجائر على الطاولة ٠٠ وهب واقفا وصرخ :

ـ لكنني ٠٠ لست اللعبة الشعلة التي ستذيب جمود ساعاتك ٠

ونظرت اليه بدهشة وفنجــان القهوة لا يزال بين أصابعي ٠٠ ورأيته شرس التقاطيع غليظ الشفتين ولفت نظري جرح قديم عند زاوية عينــه اليمنى ٠٠ عميق ٠ ٠عميق ٠٠ كعمق الغضب الذي أحســته بداخله تلـك اللحظة ! وترك الطاولة وتركني في دهشتي ٠٠ كما ترك علبة السجائــر مضغوطة وقد أفرزت ما بداخلها من سجاير ٠٠ كأنها قطة دهستها للتــو سيارة مجنونة ٠

تابعته وهو يبتعد : كان طويلا ٠٠ لكنه لم يكن عريض المنكبين ، وكان لون جاكتته الداكن لا يتناسب أبدا ولون بنطاله !!

وتمنيت أن أعرف الى أين يذهب ٠٠ لكنه خرج من باب المكان دون أن تلحق به نظراتي ٠٠

انتهيت من فنجــان القهوة ٠٠ وسكبت بقاياه في الصحن بعد أن حركتها بالفنجان ٠٠ انها عادة تلازمني فأنسى أحيانا أنني لست في بيتي ٠٠٠ وشعرت أن أمامي فترة انتظار كي يجف الفنجان وأقرأ بعد ذلك الخربشة التي تتركها بقايا البن ٠٠ لعلي اليوم أجد شيئا جديدا ٠٠ بين أرصفته ولم يكن هناك بد من العودة لمراقبة الشارع ورصيفه الذي نامت عليه الاوراق ٠٠ ورأيته!! من خلف الزجاج يراقبني ٠٠ وقــد تناثرت قطرات العرق على جبينه تعلن عن ثورة و ٠٠٠ ضيق من الجو ٠٠ ومني ٠ ٠

ابتسمت فلم يهتم بابتسامتي بل نظــر الـي باحتقــار مقصــود وترك مكانه ٠٠ نسيت الفنجان الذي سينبئني عن حظي في ذلك اليوم ٠٠ وقمت أعلق حقيبتي في كتفي ٠٠ و ٠٠

ودهشت ٠

قابلني ـ الجرسون ـ : الحساب !!

ـ الحساب لم يدفع !!

ـ لا ٠٠٠

قالها وهو يسخر ويشبـك يديه فتحت حقيبتي وناولته الثمــن كأنه يقول : ـ ما شاء الله عليك ـ ٠ بتردد ، كنت أود أن أعطيه ثمن فنجاني فقط ولكني تذكرت أنني في مأزق ٠٠ ويجب أن أهرب منه بلا ضجة ٠٠

مشيت في الشارع ٠٠ ورطوبـة الجو تلفحني وتدخل الى مسامي كمـا تدخل سؤالات الفضول الى دماغي !!

ـ من هذا الرجل ؟!

ولماذا جلست معه ؟!

ولماذا ثار ؟!

ولماذا لم يدفع ثمن القهوة ؟!

ثم ٠٠ الاهم من ذلك كله ما سبب ذلك الجرح العميق الذي عند زاوية عينه اليمنى ؟

آه ٠٠ لو أعرف !! فقط لــو أستطيع !! ولكن : كيف ؟!

ولماذا كل هذا الاهتمــام حتى بجرحه ؟

لم أنم تلك الليلة ولاحظت أمي أنني كنت أتقلب على فراشي باستمرار كأن شوكا قد غرس فيه ٠٠

ولكنها لم تحاول أن تسألني فهي تعلم بأنني سأنتفض غاضبة وأصرخ في

ـ ليس هذا من شأنك ٠٠٠

لقد اعتادت أن تراقبني بصمت ٠٠ واعتادت أن تراني قلقة ٠٠ ضائعة مشردة ٠

واعتادت أشياء كثيرة ماكان يجب أن تعتادها من ابنتها ٠٠

ولكن ! ما ذنبي ان كانت هي لم تحسن تربيتي ! وتركت لي الحبل كي أتدلل ..

وأتأرجح وتنفذ هي كل رغباتي .. ما أسوأ الامهات حين يدللن بناتهن! فما بالكم بأمي وهي ليس عندها بنات .. بل بنت واحدة .. شرسة الطبع مثلي .. فضولية .. ثائرة باستمرار .

كانت أمي تتمنى لو أنها أنجبت تسعا .. لكن والدي مات وأنا بعد في الشهر العاشر من عمري ! وأمي لـم تحدثني عن أبي أبدا ..

فلم أكن أحس منذ بدأت أكبر .. وبدأ فضولي يكبر .. أن لدى أمي أي شيء مهم في حياتها . كان فضولي يلاحق الاخرين .. ولكنه أبدا لم يمتد ليعرف شيئا .. أي شيء .. عـن أمي .. تركتها في عالمها .. وعشـت عالمي الذي ما استطاعت أن تحيـاه معي ..

كرهت المدرسة .. ورفضت أن أعود اليها فطاوعتني دون أن تفكـر بسؤالي لماذا !!

ولو أنها سـألتني فربما كنت أخبرتها بأن احدى مدرساتي قد ضربتني لانني رفضت أن أدعها تداعب «صدري» الذي برز قبل سنتين .. ولانني شعرت بالخوف منها رغم أنني لم أكن أفهـم ماذا تريد ..

لقد كبرت الان .. فهل أستطيع أن أعاتب أمي لانها لم تجبرني علـى العودة الى المدرسة ؟

فات الاوان فلم الندم ؟ ألا يكفي أنني أستطيع قراءة المجلات التي أحبها والقصص التي أنتشي بها؟ وأمي جميلة ولم تبخل علي بشيء .. كانت تلبي جميع رغباتي ما كنت أفكر يوما أن أسألها من أين لك النقود التي تصرفينها . كان الامر لا يعنيني ، وهو كذلك .. المهم أنني أحصل على كـل ما أريد .. فما الداعي للسؤال ؟! لماذا أتعب نفسي بالتفكير ؟

تعودت ألا أجلب لنفسي أيـة متاعب .. وألا أتحمل أية مسؤوليـة مهما كانت صغيرة .. كل ما كنت أهتم به هو التطفل على حياة الناس لاعرف شيئا عنهم ..

بالامس ...

دخل جرح الرجل الثـائر الى تفكيري .. وبدأ يعبث بهدوئي ..

كيف لي أن أعرف شيئا عنه !

انني لم أعرف حتى اسمه ـ ولم أعطه الفرصة ليعرفني . قررت أن أذهب اليوم أيضا الى ذلك المكان لعلي أراه ثانية على الاقل .. لاعزمه على فنجان قهوة ثم أخرج وأدعه يدفع الثمن الذي دفعته أنا بالامس .

و .. وجدته ..

ابتسمت له .. وأشرت له دون أن أتكلم الى الطاولة التي جلسنا عليهـا بالامس .. لم يتغير شيء .. الطاولة نفسها .. بنفس المفرش الذي كـان عليها بالامس .. عرفت ذلك مـن بقعة القهوة القديمة التي كانت على أحد جوانبه .

الرجل لم يتغير ، حتى ملابسه جاء بها نفسها .. وجاء أيضا بنفس الجرح العميق الذي فوق زاوية عينه اليمنى .. وبنفس الشفتين الغليظتين ما لي بهما .. انهما لا تشدان انتباهي ولا تثيران فضولي كل همي هو الجرح .

واليوم قررت أن أكون لطيفة .. لاستطيع أن أعرف سر جرحه ثم .. أنساه تماما كما نسيت من قبله كثيرا من الرجال الذين شدني اليهم شيء وركضت خلفهم فقط لاعرف سرهم ، ومن ثم غبت عن بحر حياتهم كمـا تغيب سمكة عن بحرها الازرق .

لم نتكلم .. ولم ألتفت لاراقب الرصيف كالامس .. بل اكتفيت بنظرة عابرة لاحظت معها أن الرصيف اليوم أنظف منه بالامس .

طلب القهوة ..

هو الذي طلبها ..

كنت أريد أن أطلبها أنا ... وأن أتركه ليدفع بعد أن أكون قـد عرفت سر جرحه العميق . لكنه لـم يشجعني على الكلام .. وظل صامتا كأبي الهول .. وشعرت بثورة في داخلي عنيفة .

أكدت لنفسي بأنه لو ظل صامتا أكثر من هذا لفقدت طاقتي على الهدوء ولقلبت الطاولة عليه وهربت ! كان ينظر الي ...

يفتح علبة سجائره ويشعل واحدة ويمتص نفسا عميقا ثم ينفخه في وجهي بقلة حياء واضحة .. يبتسم ! فأحس أن ابتسامته ستهوي من شفتيه الـى الارض وتركع عند قدمي . سأرفسها حقا سأرفسها حين تصل الى قدمي ، انها كريهة ، هذا الرجل يريد أن يحرق أعصابي ويسعد برائحة الحريق ولكنني لن أترك له الفرصة ليذلني .. مـن أجل أن أعرف سر جرحه . ليذهب الى الجحيم .. هو .. وجرحه .. ولكن! لا ..

ما دمت قد بدأت .. فلا بد أن أنتهي .. وبأي شكل ، ومهما كـان الثمن .

ابتسمت له .. أستحثه علـى الكلام ..

ما زال يبتسم ٠٠

ثم نطق أخيرا ٠٠

ـ تتزوجينني ؟

بلعت ابتسامتي بذهــول ٠٠ وشعرت أن حلقي قد جف فجأة كمـا تجف زجاجة الحبر ٠٠ لم أرد !

شيء واحد كان يجول بذهني ٠٠ وبسرعة ! هذا الرجل وقح !

أخذت حقيبتي ٠٠ وهربت ٠٠ ولم ألتفت ورائي خشـية أن أرى ابتسامته ووقاحته تلاحقني فأتعثـر وأقع ٠

خرجت للشارع أهرول ٠٠ قلبي يدق بعنف فلا أكاد ألتقط أنفاسي ٠٠ وأخذت أجوب الشوارع بلا هدف وبلا وعي ٠٠ أريد أن أهرب ٠٠

فقط ٠٠ أريد أن أهرب ٠٠

ولا أدري كم من الساعات قطعتها وأنا ألهث بين الارصفة وأنفاسي تلهث ٠٠ مع لهثات السيارات والدراجات ٠٠ لكنني قررت العودة الى البيت بنفس اللحظة التي شعرت فيها أنني يجب أن أعود ٠

فتحت لي أمي ٠٠ ووجها يبتسم ٠ اندفعت الى الداخل لاهرب وألقـي بنفسي على سرير الشوك الذي يضمني كل ليلة ٠٠

ولكنني تسمرت في مكاني !!

كان هو !!

التفت لامي ٠٠ وعدت ألتفت اليه ٠٠ ثم الى أمي ٠٠ ثم اليه ٠٠ ثم الى أمي ٠٠ ثم اليه ٠٠ و ٠٠

لم أدر بعد هذا ٠٠ ما الـذي حدث ٠

وحين أفقت وجدت عيني أمـي متورمتين !

عرفت أنها كانت تبكي ٠٠ وعرفت أنها تتألم خوفا علي !!

ـ أمي من هذا الرجل !؟

ـ كان يجب أن أسألك أنا هـذا السؤال ٠ ٠

ـ غريب !

ـ ألا تعرفينه ؟

وجاءني سؤال أمي هادئا

وللمرة الاولى شعرت أنه يجب أن أرد عليها ٠٠ وألا أصرخ في وجهها ٠٠ وألا ٠٠ أحرمها من متعة المشاركة !! وأن ٠٠ تكون أمي وطنا لاسراري ٠٠ وأن تعرف كل شيء عني ٠٠ وعـن سلوكي خارج البيت !

أجبتها بهدوء :

ـ منذ يومين ٠٠ أمس ٠٠ واليوم فقط ٠

رفعت أمي حاجبيها بعجب واضح وقالت :

ـ أمس واليـوم ٠٠ ويأتـي ليخطبك !

ـ ماذا ؟!

مططت ـ الماذا ـ حتى شعرت أنها قطعت مسافة طويلة كي تصل الى أذن أمي ٠٠ وأخذنا نتبادل النظرات !

ثم تكلمت أمي :

ـ هل لك نية في الزواج يـا ابنتي ؟

وانتفضت ٠٠

ـ أنا ! أبدا يا أمي ٠٠

وشعرت بأن أمي قد ارتـاحت لاجابتي بالقدر الذي ارتاحت له لبدايتي معها واعطائها المجال كي تناقشني ٠

ـ اذن ٠٠ سأبلغه هذا حين يعود مساء ٠

وبدهشة سألت :

ـ وهل سيعود ؟

ـ أجل ٠٠ يريد أن يعرف رأيك ٠٠ هكذا قال ٠

وتنهدت بهدوء ٠

اذن هناك فرصة أخرى أخيرة ٠٠ سأعرف الليلة سر جرحه ثم أرفضه ٠٠ وأرتاح منه ٠ ولعلي قد سـرحت قليلا ٠٠

ولم أنتبه الا وأمي قد وصلت الى باب الغرفة لتخرج فسارعت أسألها :

ـ هل أعجبك شكله يا أمي ؟!

واستدارت :

ـ لم أهتم لمراقبة شكله ، لـم يلفت نظري أي شيء سوى ذلك الجرح الذي فوق زاوية عينه اليمنى وحـين سألته عنه ٠٠

و ٠٠ صرخت ٠٠ وهببت مـن الفراش لاصل الى أمي بسرعة وأمسك بيدها وتتناثر الكلمات من حلقي كما تتناثر أمطار أول الشتاء متلعثمة :

ـ ماذا ؟ ماذا ؟٠٠ ماذا قال ؟ ما هذا ؟ الجرح ٠٠ من ؟ كيف ؟٠٠ قولي ٠٠

واستغربت أمي تهـافتي ٠٠٠ وتلعثمي ٠٠

فسحبتني ثانية الى الفراش وهي تتساءل :

ـ مابك؟ ولماذا كل هذا الاهتمام؟

ـ أمي ٠٠ أمي أرجوك أخبريني ما سر ذلك الجرح ؟

ـ سر ! وأي سر وراء جرح ؟ وقع مرة في الشارع وجاء سقوطه فوق حافة أحد أغطية المجاري الحديدية فأحدث جرحا عميقا كبر معه ٠

يا لتفاهتي !

سحبت الغطاء حتى آخر رأسي وقلت لامي :

ـ الليلة لن أكون هنا ، اذا جاء قولي له أن يرحل وجرحه الى غـير رجعة !

استسلمت لهدوء تام ، وشعرت بأن أحد متاعب فضولي قد انتهت ، ولكنني واثقة أن فضولا آخر في طريقه الي ، وان وراءه جولة جديدة ٠٠

عطاء بن رباح

د. عبد الرحمن رأفت باشا

رجال صغرت الدنيا في عيونهم
كان الملوك
يتصاغرون بين يديه
ويستجيبون لكل أوامره !

ها نحن أولاء في العشر الاخير من شهر ـ ذي الحجة ـ سنة سبع وتسعين للهجرة ، وهذا البيت العتيـــق يموج بالوافدين على الله من كل فج : مشاة وركبانا ، وشيوخا وشبانا ، ورجالا ونساء ، فيهم الاسود والابيض ، والعربي والعجمي والسيد والمسود ، قدموا على ملك الناس مخبتين راجين مؤملين .

وهذا سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين وأعظم ملوك الارض يطوف بالبيت العتيق حاسر الرأس حافي القدمين ليس عليه الا ازار ورداء شأنه في ذلك كشأن بقية

رعاياه من اخوته في الاسلام ٠

وكان من خلفه ولداه ، وهما غلامان كطلعة البدر بهاء ورواء ، وكأكمام الورد نضارة وطيبا ٠

وما أن انتهى من طوافه حتى مال على رجل من خاصته وقال : أين صاحبكم ؟ فقال : انه هناك قائم يصلي، وأشار الى الناحية الغربية من المسجد الحرام ٠

فاتجه الخليفة ومن ورائه ولداه الى حيث أشير اليه، وهم رجال الحاشية بأن يتبعوا الخليفة ليفسحوا له الطريق ويدفعوا عنه أذى الزحام فثناهم عن ذلك وقال : هذا مقام يستوي فيه الملوك والسوقة ، ولا يفضل فيه أحد أحدا الابالقبول والتقوى، ورب أشعث أغبر قدم على الله فتقبله بما لا يتقبل به الملوك ٠

ثم مضى نحو الرجل فوجده ما يزال داخلا في صلاته، غارقا في ركوعه وسجوده ، والناس جلوس وراءه وعن يمينه وعن شماله ، فجلس حيث انتهى به المجلس وأجلس معه ولديه ٠

وطفق الفتيان القرشيان يتأملان ذلك الرجل الذي قصده أمير المؤمنين وجلس مع عامة الناس ينتظر فراغه من صلاته ، فاذا هو شيخ حبشي ، أسود البشرة ، مفلفل الشعر، أفطس الانف ، اذا جلس بدا كالغراب الاسود ٠

ولما انتهى الرجل من صلاته ، مال بشقه على الجهة التي فيها الخليفة فحياه سليمان بن عبد الملك فرد التحية بمثلها ٠

وهنا أقبل عليه الخليفة وجعل يسأله عن مناسك الحج منسكا منسكا وهو يفيض بالاجابة عن كل مسألة ، ويفصل القول فيها تفصيلا لا يدع سبيلا لمستزيد ، ويسند كل قول يقوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ولما انتهى الخليفة من مساءلته جزاه خيرا ، وقال لولديه : قوما ، فقاما ، ومضى الثلاثة نحو المسعى ٠

وفيما هم في طريقهم الى السعي بين الصفا والمروة سمع الفتيان المنادين ينادون : يا معشر المسلمين ، لا يفتي الناس في هذا المقام الا عطاء بن رباح ، فان لم يوجد فعبد الله بن أبي نجيح ٠

فالتفت أحد الغلامين الى أبيه وقال : كيف يأمر عامل أمير المؤمنين الناس بألا يستفتوا أحدا غير عطاء بن رباح وصاحبه ، ثم جئنا نحن نستفتي هذا الرجل الذي لم يأبه للخليفة ولم يوفه حقه من التعظيم ؟!

فقال سليمان لولده : هذا الذي رأيته — يا بني — ورأيت ذلنا بين يديه هو عطاء بن رباح صاحب الفتيا في المسجد الحرام ، ووارث عبد الله بن عباس في هذا المنصب الكبير ٠ ثم أردف يقول : يا بني ، تعلموا العلم ، فبالعلم يشرف الوضيع وينبه الخامل ويعلو الارقاء على مراتب الملوك ٠

لم يكن سليمان بن عبد الله مبالغا فيما قاله لابنه في شأن العلم ، فقد كان عطاء بن رباح في صغره عبدا مملوكا لامرأة من أهل مكة ، غير أن الله جل وعز أكرم الغلام الحبشي بأن وضع قدميه منذ نعومة أظفاره في طريق العلم ، فقسم وقته أقساما ثلاثة :

قسم جعله لسيدته يخدمها فيه أحسن ماتكون الخدمة، ويؤدي لها حقوقها عليه أكمل ما تؤدى الحقوق ٠

وقسم جعله لربه يفرغ فيه لعبادته أصفى ما تكون العبادة وأخلصها لله عز وجل ٠

وقسم جعله لطلب العلم حيث أقبل على من بقي حيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطفق ينهل من مناهلهم الثرة الصافية ، فأخذ عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير،

وعبد الله بن عمرو ، وزيد بن خالد الجهني ، وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حتى امتلأ صدره علما وفقها ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ولما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه لله ، ووقف حياته على طلب العلم، تخلت عن حقها فيه، وأعتقت رقبته تقربا لله عز وجل ، لعل الله ينفع به الاسلام والمسلمين ، فاتخذ البيت الحرام مقاما له ، اذ جعله داره التي يأوي اليها ، ومدرسته التي يتعلم فيها ومعبده الذي يتقرب فيه الى الله بالتقوى والطاعة ، حتى قال المؤرخون : كان المسجد فراش عطاء بن رباح نحوا من عشرين عاما ٠

★ ★ ★

وقد بلغ التابعي الجليل عطاء بن رباح منزلة في العلم فاقت كل تقدير ، وسما الى مرتبة لم ينلها الا نفر قليل من معاصريه ، فقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه أم مكة معتمرا ، فأقبل الناس عليه يسألونه ويستفتونه ، فقال : اني لاعجب لكم يا أهل مكة ، أتجمعون لي المسائل لتسألوني عنها وفيكم عطاء بن رباح؟! ٠

★ ★ ★

وقد وصل عطاء بن رباح الى ما وصل اليه من درجة في الدين والعلم بخصلتين :

أنه أحكم سلطانه على نفسه فلم يدع لها سبيلا لترتع فيما لا ينفع ، وأحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام والعمل ٠٠٠

حدث محمد بن سوقة جماعة من زواره قال : ألا أسمعكم حديثا لعله ينفعكم كما نفعني ؟ قالوا : بلى ٠

قال : نصحني عطاء بن رباح يوما فقال : يا بن أخي ان الذين من قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله جل وعز أن يقرأ ويفقه وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروى ويدرى أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو علما يتقرب به الى الله تعالى أو أن تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لا بد لك منها ٠٠٠

ثم حدق في وجهي وقال : أتنكرون ـ أن عليكم لحافظين كراما كاتبين ـ وأن مع كل منكم ملكين عن اليمين وعن الشمال قعيد ـ ما يلفظ من قـــول الا لديه رقيب عتيد ـ ٠

ثم قال : أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملأها صدر نهاره ، فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا أمر دنياه !!

★ ★ ★

ولقد نفع الله عز وجل بعلم عطاء بن رباح طوائف كثيرة من الناس : منهم أهل العلم المتخصصون ، ومنهم أرباب الصناعات المحترفون ، ومنهم غير ذلك ٠

حدث الامام أبو حنيفة النعمان عن نفسه قال : أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام ، وذلك أني أردت أن أحلق لاتحلل ، فأتيت حلاقا فقلت : بكم تحلق لي رأسي ؟ فقال : هداك الله ، النسك لا يشارط فيه ، اجلس واعط ما يتيسر لك ، فخجلت وجلست ، غير أني جلست منحرفا عن القبلة ، فأومأ الي بأن أستقبل القبلة ففعلت وازددت خجلا على خجلي ٠

ثم أعطيته رأسي من الجانب الايسر ليحلقه فقال : أدر شقك الايمن فأدرته وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر اليه وأعجب منه ، فقال لي : ما لي أراك ساكتا ، كبر ، فجعلت أكبر حتى قمت لاذهب ، فقال أين تريد ؟! فقلت : أريد أن أمضي الى رحلي ، فقال : صل ركعتين ثم امض الى حيث تشاء ٠

فصليت ركعتين ، وقلت في نفسي : ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام الا اذا كان ذا علم ٠

فقلت له : من أين لك ما أمرتني به من المناسك ؟!

فقال : لله أنت ، لقد رأيت عطاء بن رباح يفعله ، فأخذته عنه ، ووجهت اليه الناس ·

ولقد أقبلت الدنيا على عطاء بن رباح فأعرض عنها أشد الاعراض · وأباها أعظم الاباء ، وعاش عمره كله يلبس قميصا لا يزيد ثمنه على خمسة دراهم ·

ولقد دعاه الخلفاء الى مصاحبتهم فلم يجب دعوتهم لخشيته على دينه من دنياهم ، لكنه ـ ومع ذلك ـ كان يفد عليهم اذا وجد في ذلك مصلحة للمسلمين أو خيرا للاسلام ·

من ذلك ما حدث به عثمان بن عطاء الخراساني قال : انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك ، فلما غدونا قريبا من دمشق اذا نحن بشيخ على حمار أسود عليه قميص صفيق ، وجبة بالية وقلنسوة لازقة برأسه وركاباه من خشب ، فضحكت منه ، وقلت لابي من هذا ؟! فقال : اسكت · هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن رباح ، فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته ، ونزل هو عن حماره فاعتنقا ، وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب قصر هشام بن عبد الملك ·

فما استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما ، فلما خرج أبي قلت له : حدثني ما كان منكما ، فقال :

لما علم هشام أن عطاء بن رباح بالباب بادر فأذن له ، ـ والله ما دخلت الا بسببه ـ فلما رآه هشام قال : مرحبا مرحبا ··· ههنا ههنا ··· ولا زال يقول له : ههنا حتى أجلسه معه على سريره ، ومس بركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا ·

فقال له هشام : ما حاجتك يا أبا محمد ؟

قال : يا أمير المؤمنين· أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم ·

فقال : نعم ! يا غلام · اكتب لاهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ، ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الاسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم فقال : نعم ، يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم ، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟

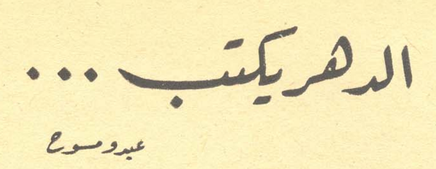
قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الثغور يقفون في وجه عدوكم ويقتلون من رام المسلمين بشر ، تجري عليهم أرزاقا تدرها عليهم ، فانهم ان هلكوا ضاعت الثغور ، فقال هشام : نعم ، يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم اليهم ، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يكلفون ما لا يطيقون ، فان ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم ، قال : نعم ، يا غلام اكتب لاهل الذمة بألا يكلفوا ما لا يطيقون ، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين ، فانك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك ممن ترى أحد ···

فأكب هشام ينكت في الارض وهو يبكي ، فقام عطاء فقمت معه فلما صرنا عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه وقال له : ان أمير المؤمنين بعث لك بهذا فقال : هيهات ··· ـ وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين ـ ·

فوالله انه دخل على الخليفة وخرج من عنده ولم يشرب قطرة ماء ·

وبعد ··· فقد عمر عطاءبن رباح حتى بلغ مائة عام ملأها بالعلم والعمل ، وأترعها بالبر والتقوى ، وزكاها بالزهادة بما في أيدي الناس والرغبة بما عند الله ·

فلما أتاه اليقين وجده خفيف الحمل من أثقال الدنيا ، كثير الزاد من عمل الاخرة ، ومعه فوق ذلك سبعون حجة وقف خلالها سبعين مرة على عرفات يسأل الله جل وعز رضاه والجنة ويستعيذ من سخطه والنار ·



عبده مسوح

الى اخواننا وأخواتنا المغتربين الذين لم يطووا أشرعة رحيلهم بعد ويعودوا الى وطنهم .

كانت مجالسنا كالجمر تلتهب   واليوم يا صاح لا أنس ولا طرب
أين الرفاق ؟ وما بالحي من أحد   سوى الدموع من الآماق تنسكب
وقفت أسأل عنهم بعد غربتهم   وبيننا البحر والامواج تصطخب
كان الجواب : دع الماضي فلا أمل   هل يرجع الدهر اخوانا لكم ذهبوا ؟!
بعض قضى نحبه شوقا لبلدته   وكان يحلم أحلاما ويرتقب
وبعضهم هدت الازمان كاهلهم   فلا لقاء وان هموا وان رغبوا
الدهر يكتب والايام صاغرة   وعمرنا صفحة عنوانها صخب
وعدت أسأل من ألقاه : هل خبر   عمن نحب عسى الابعاد تقترب ؟
أكرر القول تردادا لاسمهم   والسمع يطرب بالترداد والعصب
فجاوبتني رياح الهم باردة   لاتوقظ الجرح ... ان القلب ينتحب
«حمص» ويسكر من «ميماسها» نغم   وينتشي الدهر من أنسامها أدب
وكم تحدث عنها كل مغترب   وكم تجمد في أجفانه التعب ؟!
ومات لم تكحل العينين رؤيتها   ولم تهادن رؤى أحلامه النوب
يا نازحين وأنتم في ضمائرنا   شوق مقيم وفي ظلمائنا شهب
هذي منازلنا فرحى برؤيتكم   ألستم الغيث قد جادت به السحب ؟
عسى ربيع به تخضل دوحتنا   وتزدهي عجبا أثوابها القشب
أشعارنا عذبت في مدحكم وصفت   واخضرت الاحرف السمحاء والكتب
لا يهدأ القلب الا في جواركم   كادت جوانحنا من شوقها تثب
عودوا وان حجبت أنواركم زمنا   « ان السماء ترجى حين تحتجب »

البحر من ورائكم

السيد فرج فؤاد

فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص ، في ابان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تخلصت مصر من حكم الروم وما طغى فيه من ظلم واستغلال وبدأت عهدا جديدا يسود فيه الحق والعدل والكرامة ، وسرعان ما ارتاحت نفوس المصريين فاندمجوا والعرب بالرضا والترحاب وتعلموا اللغة العربية حتى صارت لغتهم وأقبلوا على الاسلام ودخلوا في دين الله أفواجا ٠

ورفعت مصر لواء العروبة والاسلام ودخلت جامعة الوطن العربي الكبير ٠

ويعتبر فتح مصر حكما صريحا يهدم دعوى القائلين بأن الاسلام قام بحد السيف ولبى شهوة الغزو ونزعة السيطرة ٠٠ فان الدعوة الاسلامية كانت تسبق تحركات الجيوش وتخاطب العقول ولهذا كان استقبالها سهلا وقبولها رضاء ٠٠ أما السيف فكان للطغاة والمستبدين والموالفين في الشر والفجور ٠

فتحوا الارض فاستقادت لفتح
ناصع كالسماء هاد رشيد
غيرهم يفتحون للذل والعا
ر ، وهم للعلاء والتشييد

ولما استقر الفتح لعمرو ، واستدام الامن وهدأت الاحوال أخذ ينظر عبر الحدود نظر المسلم الداعية والقائد الداهية ، فألفى فلول الروم تتجمع وتتكاثر في ولاية برقة، وتشكل خطرا ان عاجلا أو اجلا على حين أن أهالي برقة

يعانون البلاء من ظلم الروم وغارات البربر وسوء المعيشة مما جعل التعجيل بانقاذهم ودعوتهم الى الاسلام فرضا واجبا كما أن القضاء على فلول الروم وانهاء اخر بارقة أمل لهم قد جاء حينها ..

وتحرك جيش المسلمين من الاسكندرية على الطريق الساحلي حتى دخل ولاية برقة فعالج استحكاماتها وقضى على مقاومتها .. ولاقى ترحيب الاهالي وأجرى المصالحة على الجزية .

ثم تابع عمرو مسيرته في شمالي افريقيا فركب مع الجانب الاكبر من جيشه الطريق الساحلي بينما دفع قوة من فرسانه على الطريق الجنوبي الذي يخترق الصحراء واحتفظ باحتياطي خفيف الحركة لتعزيز النجاح .. وهكذا أسند جنبه الايمن الى البحر وحمى جنبه الايسر بكوكبة من الفرسان وسار على تعبئة كاملة حتى بلغ مدينة طرابلس فطوقها وشدد عليها الحصار شهرا كاملا حتى استسلمت له ..

وكتب القائد عمرو الى الخليفة عمر :

« ان الله قد فتح علينا طرابلس

وليس بيننا وبين ـ افريقية ـ الا تسعة أيام ..

فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ،

ويفتحها الله على يديه .. فعل »

وجاء رد الخليفة :

« لا ...

انها ليست ـ افريقية ـ ولكنها ـ الفرقة ـ

غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » .

وهنا لا بد من وقفة تأمل واعتبار في هاتين الرسالتين حيث يتبين حسن الخطاب ، وتظهر حصافة القائد الطموح ، وتبدو حكمة الخليفة المسئول الاول .. رجل الدولة والحكم .

ان القائد المنوط بمهمة لا يجوز له تجاوز حدود مهمته ، برغم ما قد يكون في ذلك التجاوز من يسر وما ينتظره من نصر . ولذلك فقد كان لزاما عليه أن يرجع الى الخليفة ويبدي له الرأي وينتظر منه القرار والامر .

كما أن ذلك القائد العربي الذي يعرف أصول القيادة ومواقع المسئولية قد أدرك وأراد أن يكون الفتح على يد الخليفة .. وحري بقائد الجيش أن يعرف حدود مهمته وولائه لرئيس الدولة .

أما من وجهة نظر الخليفة فاننا نجد عمر بن الخطاب لا يوافق على ذلك الطموح المسترسل والاتساع في الفتوح مما لا تؤمنه عواقبه قبل فترة من الزمن تكفل استقرار الامور واستكمال الامكانات لمرحلة تقدم أخرى .. فهو لا يرى الاستمرار في اجهاد الجند والتوسع في أعمال القتال كما أنه لا يقبل أن تمتد خطوط المواصلات وتبتعد قواعد الامدادات ، وهي أمور لا يعرفها غير أصحاب النظر البعيد ورواد الاستراتيجية .

وقد صدع عمرو بأمر عمر .

وتوقف الفتح عند برقة ، وقد ولى أمرها قائد حاذق هو عقبة بن نافع .

وعندما ولي خلافة المسلمين عثمان بن عفان أقدم على عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر وعهد بها الى أخيه في الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وذلك في سنة ٢٥ هجرية .

وقد تشاور الوالي الجديد مع أخيه الخليفة الجديد في شأن استكمال فتح شمالي افريقيا .

وأرسل الخليفة الى والي مصر مددا كبيرا قوامه عشرون ألفا وبدأ التجمع في برقة وقوات عقبة بن نافع .

وعلى الجانب الاخر حشد الروم مائة وعشرين ألفا بقيادة القائد المشهور جريجوريوس أو ـ جرجير ـ على نحو ما أطلق عليه العرب .. وكان اللقاء المرتقب في ـ قرطاجنة ـ .

تقدمت القوات العربية على الطريق الساحلي فكانت مخافر العدو تبدي مقاومة شديدة حتى تعذر الاستيلاء عليها . ولم يفطن القائد العربي ابن السرح لخطر التقدم دون تطهير الجيوب فاستمر يجاوزها وبقيت حاميات طرابلس **وقابس قوية الشكيمة ..**

وأحس الخليفة ابن عفان بصعوبة الموقف فبعث بمدد جديد على رأسه عبد الله بن الزبير الذي كان اسمه بشيرا بالنصر ، وقد أنقذ الموقف وجعل مركز العرب قويا في مفاوضات الصلح التي انتهت بقبول الجزية مع ارتداد القوات العربية الى حدود مصر .

وقد ارتضى الجيش العربي العودة الى الحدود تقديرا سليما للموقف يتمثل فيما يلي :

أولا – امتداد مواصلات العرب دون قواعد آمنة .

ثانيا – تعذر الحصول على امدادات جديدة تعوض خسارة المعارك المتتابعة .

ثالثا – اضطراب الموقف العربي على أثر مقتل الخليفة عثمان بن عفان ونشوب النزاع على الخلافة بين علي ومعاوية .

واذ انتهى أمر الخلافة الى معاوية بن أبي سفيان فانه أعاد عمرو بن العاص واليا على مصر .

ولكن لم يطل العمر بعمرو ، اذ مات بعد قليل وتولى أمر مصر بعده عقبة بن عامر بينما ولي قيادة الجيش معاوية بن حديج ، واستمرت الغارات ناشبة في عهده دون أن تبلغ مبلغ الحرب الفاصلة .

وفي سنة ٤٨ هجرية عقد تولاية مصر للجندي الباسل عقبة بن نافع ، وقد أمده الخليفة بعشرة الاف مقاتل ، وقد دخل والبربر في مناوشات ومعارك متقطعة غير ذات نتيجة حتى سنة ٥٥ حين عزله الخليفة وولى مكانه – دينار أبو المهاجر – طوال سبع سنوات لم تنقطع فيها المناوشات والغارات وعمليات الكر والفر بين الحدود المصرية ومدينة بنزرت الساحلية .

وعندما ولي حكم العرب يزيد بن معاوية أعاد الى مصر واليها عقبة بن نافع الذي عاد الى دوره التاريخي في استكمال فتح شمالي افريقيا ودحر الروم والبربر معا الى أن لقي حتفه شهيدا في ميدان القتال .

وفي سنة ٧٦ هجرية – في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان – تولى القيادة في مصر حسان ابن النعمان الذي قاد أربعين ألف مقاتل موفوري الاستعداد في حملة تطهير شاملة فأحرز عدة انتصارات باهرة واحتل قرطاجنة .

ولما ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك اختار موسى ابن نصير واليا على – افريقيا – سنة ٨٩ هـ ، وفي ذلك العهد فتح الله على العرب بشمالي افريقيا حتى المحيط الاطلسي .. ورنا العرب بأبصارهم عبر مضيق – هرقل – الى أوربا .

وكانت اسبانيا ترزح تحت نير الحكم القوطي الجائر طوال قرنين من الزمان ، وكان ملكها وشيكا المشهور عند العرب باسم – غيطشة – مثالا للظلم والاستهتار حتى وصفه المؤرخون بأنه – علم اسبانيا كيف تقترف الاثام – وقد استشرى في طغيانه وفساده حتى سقط عن عرشه وتلاه ملوك على شاكلته حتى وثب الى عرش اسبانيا قائد الجيش القوطي رودريك الذي عرفه العرب باسم – لذريق – .

وحدث انقسام بين الحكام الاسبان جعل قسما منهم يسعى للاتصال بالعرب ويستعديهم على لذريق مما أغرى موسى ابن نصير بغزو اسبانيا .. وقد جاء في تاريخ فتح الاندلس – لابن القوطية – ان القوم كانوا منقسمين وحدثت خيانة اذ انضم بعض أصحاب الشأن الى طارق كيدا وقهرا للذريق .

وكان موسى بن نصير – القائد العربي الذي لم يهزم قط – تواقا لفتح جديد ، فهو – وان كان قضى على

ثورة البربر وكسر شوكتهم - أراد أن يدفع قواته الى عمليات جديدة وانتصارات كبرى للاسلام والعروبة ٠٠ وتنفيذا لذلك فانه استولى على طنجة وولى عليها طارق بن زياد ، وأنشأ أسطولا بحريا يجعل له التفوق في عمليات البحر وأصبح مسيطرا على شمالي افريقيا من مصر الى ٠٠ - بحر الظلمات - ٠

وبعد أن أتم موسى بن نصير استعداداته للفتح طلب اذن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وزين له الامر - وليس يفصلني عن الاندلس بحر زخار وانما خليج منه يبين للناظر ما خلفه - ٠ فوافق الخليفة على حذر ونصح لموسى أن يختبر العبور قبل الاقتحام وأخذ موسى بهذا الرأي وبعث قوة اكتشافية من خمسمائة مقاتل تحت امرة طريف بن مالك ، فعبروا من ميناء - سبتة - على سفن جهزها لهم - الكونت دانيال - خصم الحاكم لذريق ، ونزلت هذه القوة العربية الى الشاطىء فلقيت استقبالا طيبا من الاهالي ٠

وتولى قيادة الغزو جندي عربي باسل هو طارق بن زياد ٠

وعبر طارق على رأس اثنى عشر ألف مقاتل من - سبتة - الى - الارض الخضراء - ٠

ويروى أن طارقا رأى فيما يرى النائم أن النبي صلوات الله عليه يبشره بالفتح ويأمره بالرفق ويوصيه بالوفاء ٠٠ فاستبشر طارق وشدد ذلك من عزيمته ٠

وكان لذريق حاكم الاندلس في رحلة بعيدا عن حاضرة ملكه فلما استشعر نائبه الخطر بعث اليه رسالة عاجلة يدعوه وينهي اليه بأنه - وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء جاءوا أو من الارض - وسرعان ما أعد لذريق عدته ونزل الى ميدان المعركة في - وادي بكة - ، وذكرت المصادر أنه - حمل على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظلله وهو مقبل في غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة بالسلاح - بينما أقبل طارق بين قواده عليهم الزرد أي دروع القتال وعلى رؤوسهم عمائم بيضاء وبأيديهم القسى العربية ، وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح ٠٠ فلما نظر لذريق اليهم فارقته الشجاعة وتبددت نفسه ، وقال : - أما والله ان هذه هي الصور التي رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا - !

وقصة ذلك - كما ترويها الاساطير - أنه كان في - طليطلة - بيت باسم بيت الحكمة ، وكان القوم يخشون على بلدهم من الغزو الاجنبي فعمدوا الى عمل طلاسم لحمايتها وجعلوا على هذا البيت ستة وعشرين قفلا - وكان كل ملك يضيف قفلا جديدا عند ولايته ، ولكن لذريق أبى ذلك ورأى أن يكسر الاقفال ويفتح الباب ليكشف السر ولم يهتم بمعارضة أهله وتحذيرهم فلما أصر على رأيه وفتح البيت وجد فيه مائدة عظيمة من ذهب وفضة وجواهر شتى ، وقد كتب عليها :

- هذه مائدة سليمان بن داوود عليه السلام - ٠

وجد تابوتا فيه ورق وعلى جوانبه صور فرسان على أشكال عرب معممين يمتطون خيولا عربية وبأيديهم قسى عربية وسيوف ورماح ٠٠ ولما أمر لذريق بنشر الرق وجد مكتوبا عليه :

- متى فتح هذا البيت ٠ وهذا التابوت المقفولان بالحكمة ٠٠ دخل القوم الذين صورهم في التابوت الى جزيرة الاندلس، وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم - ٠

٠٠ هذه على أي حال رواية أو اسطورة قديمة ، ولكنها تحققت ٠

وكانت المعركة الى الاندلس من فواصل معارك التاريخ ، وصار بطلها طارق بن زياد من أشهر القادة العرب وأحد الخالدين في تاريخ القيادة والمعارك الكبرى ٠

قدر طارق الموقف ووضع خطة تنطوي على الجسارة، وقد قال نابليون فيما بعد أنه اذا خلا فن الحرب من روح المخاطرة فان القادة يتساوون ٠

غير أن طارقا لم يكن قائدا عاديا ، وقد جاء دوره ليصبح في عداد مشاهير القواد في التاريخ كله ٠٠ لقد قرر طارق حرق سفنه حتى تصبح قواته بين البحر والعدو ٠٠ فلا فرار ولا تقاعس !

وقال طارق لرجاله :

ـ أيها الناس ٠٠ أين المفر ؟

البحر من ورائكم والعدو أمامكم ٠٠

فليس والله أمامكم الا الصدق والصبر ٠

واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مآدب اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته ، وقوات موفورة ، وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أعدائكم ٠٠ وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعرضت القلوب برعبها منكم الجرأة عليكم ٠٠ فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية لذريق ، وان انتهاز الفرص فيه لممكن اذا سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس الا وأنا أبدأ فيها بنفسي ٠٠ واعلموا أنكم لو صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ كثيرا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه أوفر من حظي وقد بلغتكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان ٠٠

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ليكون خطه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذة الجزيرة ٠٠ ـ

وقف طارق على رأس جيش عربي متحفز تحدوه روح الفتح الاسلامي وقد تمرس بالحرب واعتاد النصر، بينما الفريق الاخر قد شملته الدعة ووهنت فيه العزائم برغم الزيادة العددية والتفوق في نوع السلاح ٠٠ وقد حدث قبل نشوب القتال أن وصل الى لذريق تقرير عن الموقف جاء فيه :

ـ قد جاءك من لا يريد الا الموت واصابة ما تحت قدميك فقد صرفوا مراكبهم اياسا لانفسهم من التعلق بها ، واصطفوا في السهل موطئين أنفسهم على الثبات ، اذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب ـ ٠

وبدأت المعركة ٠

تحركت قوات طارق فاستقبلتها وحدات من فرسان القوط ودارت بين الفريقين مناوشات اكتشافية لاختبار الامكانات والخطط ، ثم جرى صدام شديد على الميمنة تراجعت على أثره قوات لذريق ، واحتدم القتال في اليوم الرابع للمعركة وشمل الميدان كله ٠٠ وحدثت المفاجأة اذ انسحبت من القتال قوات القائد المنشق يوليان فتصدعت جبهة العدو واهتزت معنوياته وضاعت خطته واشتدت هجمات العرب من كل جانب وأضحى النصر واضحا فلم يطق الجيش القوطي صبرا فأقر الهزيمة وسلم بالفرار وانتهت المعركة التاريخية التي استمرت سبعة أيام بانتصار عربي خالد ٠

وبعث موسى بن نصير الى الخليفة الوليد :

« لم يكن هذا فتحا كغيره يا أمير المؤمنين ٠٠ فان الوقفة كانت أشبه باجتماع الحشر يوم القيامة » ٠

وهكذا فتح العرب شبه جزيرة الاندلس وتفتحت أمامهم قارة أوربا ٠٠ والتقى الوالي بالقائد ونظرا معا عبر جبال البرانس ، ورنا كل منهما الى رفع راية السلام والعروبة خفاقة فوق بلاد الفرنجة واستكمال الفتح الى القسطنطينية ٠٠ وبذلك يصبح الوطن العربي ممتدا من الخليج الى المحيط ويصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة عربية ٠

دعاء

ربي سألتك أن تنور دربها وتنير دربي
أن تنثر الازهار عبر خطى معذبتي بحبي
لا لم تكن يا رب كاذبة الهوى فالذنب ذنبي
ما ذنبها لما فرشت على طريق الحب قلبي
فمضت ولم تشعر به ومشت عليه مرور درب
رباه اني قد حصدت ـ أنا ـ هواي فخل حبي

اسرار

وترددت لم تبوحي وتاهت في" مآقيك تهتف الاسرار
لا تخافي فالسر يطويه صدري وعليه من الوفاء ستار
خلف جفنيك ألف سر ينادي وتجلدت والمنى تنهار
أترى خفت أن تبوحي بحب لفه في جنونه اعصار
فتضيع الاحلام والامل الرحب ويقسو ليل ويبكي نهار
أنا أهواك أن تبوحي ففيم الخوف بوحي ففي ضلوعي نار

سؤال

أأسأل ما الذي أبغي كأني أريد من من الربيع سوى الربيع
دعي بخل الخريف لغير قلبي فقد أوقدت للقيا شموعي
أأسأل ، لن أجيب ، ففي عيوني اذا شئت الجواب وفي ضلوعي
ولكن قد أبثك بعض ما بي ولا أحيا على أمل مريع
حصادك لن أكون أنا فسيري على الدرب المروى بالنجيع
وغيبي في الظلام فلا رجوع اذا ما حن قلبك للرجوع

منذر المفتي

الرؤوس

محمد الراوي

ومن الرصيف الاخر رأى الرأس. توقف برهة وهو يتابع الرأس الذي تحرك على الرصيف المقابل ثم اختفى، اهتزت الصورة في عينيه ولم تسعفه الذاكرة في استعادة سريعة لملامح وجه قديم . فقد تساقط الشعر عن بؤرة الرأس وتركها جرداء ملتمعة بينما نزلت سوالف كثيفة حتى منتصف الصدغين . واختلط عليه الامر عندما عبرت أمامه رؤوس كثيرة تشبه هذا الرأس . رؤوس تعبر ولا تلتفت اليه. صامتة لكن كثيرة ، أكثر مما كان يراها بالامس وقبل الامس . لكنه كان يبحث بينها عن رأسه هو .

نزل من فوق الرصيف ملتفتا حوله ثم عبر الشارع . وفي الجانب الاخر رآه واقفا أمام محل كبير . اقترب . وأخفى جسده وراء سيارة واقفة بجوار الرصيف وأخذ يرقبه من ورائها وكلما تحول الرأس ناحيته تلفت الى قلب الشارع متظاهرا بانتظاره متوقعا بقبضة يده فوق كتفه ، ومتوقعا مرة أخرى أن يندفع نحوه محاولا قتله أو يدفعه في قلب الشارع بين السيارات المسرعة .

من حين الى حين يعود ليحملق فيه . لقد فعلت السنون فعلتها ، سقط الشعر وأغلظ العنق والصدر . لكن الصحة تبدو جيدة . ربما رآه وتعرف عليه . وقد يذهب اليها ليخبرها في سخرية بأنه رآه . فتستعيد هي ذلك الماضي . استعاد اللحظة الاخيرة . عندما أشارت نحوه وقالت : ها هو . قال انه يعرفه ويقابله كثيرا في الطريق دون أن يتصور أنه سيكون غريمه في يوم من الايام . ثم لم يرها بعد ذلك لانها تزوجت الاخر وتسلم منها رسالة تسخر فيها منه وتقول أنه بلا ارادة ولا يستطيع أن يفعل شيئا . وأن الاخر ـ زوجها ـ يعرف العلاقة التي كانت بينهما وقد أقسم بأن يقطع رأسه اذا رآه .

عندما اقترب الرأس من حافة الرصيف متجها نحو نفس السيارة التي يختفي وراءها تراجع قليلا بظهره وسقط نظره على زجاج السيارة المغلق واذا بوجه يرقبه من الداخل • كان الشارع خافت الاضاءة وثمة موجة من الهواء البارد تسري فيه •

لم ير في البداية الا عينين داكنتين ملتمعتين في جوف السيارة • ورأى الرأس ينحني ويدلف من فتحة النافذة المقابلة • رأى العينين الداكنتين تستديران نحو النافذة المقابلة ، ولمح الشعر المنسدل فوق الكتفين • ثم بدأ الرأس يهتز فيهتز الشعر • سمع الصوت خافتا رقيقا يأتيه من خلف الزجاج •

عادت العينان الى النافذة التي يقف بالقرب منها ، تحدق فيه • بينما تراجع الرأس الاخر عن النافذة واتجه الى داخل المحل • واقترب وكاد أن يلصق وجهه بسطح الزجاج ، يلصق وجه بالعينين اللتين لم تتراجعا ، ثم بالشفتين الفاغرتين • أخذت تتكشف له الملامح كاملة بعد أن اتضحت له الرؤية داخل العربة • العينان والشفتان والوجه المستطيل الذي اكتنز قليلا منذ رآها آخر مرة ، والملامح القديمة قد شابها بعض التغيير • شعر بأنه سيسقط على الارض ، وبأن ركبتيه ما عادتا تحملانه فاستند بذراعه على باب السيارة ، ونطق باسمها بصوت غير مسموع • أنفاس حارة تخرج من بين شفتين متينتين ، وحلم قديم يبعث تحت سقف السيارة المنخفضة •

رآها من الداخل تنطق باسمه ، وشاهد حركة يدها وهي تلمس اطار النافذة من الداخل وتلصق كفها الصغيرة ، التي يعرفها ، بالزجاج • كفها الصغيرة البيضاء ، التي تحسسها كثيرا ، مفرودة الاصابع ، تضغط بها وكأنها تريد أن تنفذ بأصابعها من خلال الزجاج • ثم حركة شفتيها وهي تنطبق على بعضها البعض • انه يعرف ذلك جيدا اذا تحركت شفتاها هكذا فانها تكون في هذه اللحظة — وفي أية لحظة أخرى — تنطق باسمه رأى الايام القديمة في عينيها ، في حركة أصابعها فوق سطح الزجاج في انقباضة شفتيها •

وجاءت موجة من الرؤوس • عبرت الرصيف فحجبت مدخل المحل الكبير عن السيارة • أشار لها بأن تفتح النافذة • رأى عينيها تتجهان نحو المقبض ثم تتجه نحوه • أشار لها ثانية بأن تفتح النافذة وأخذ يدير ذراعه في الهواء • وكانت الرؤوس الكثيرة مازالت تتدفق على الرصيف بين السيارة ومدخل المحل ، صامتة الا من صوت خفيف كالهمهمة •

امتد ذراعها ناحية المقبض وأدارته بقبضة يدها الصغيرة • مد يده ولمس جبهتها قالت له : انك لم تتغير • ثم صمتت • لم يتكلم • قبضت أصابعه على حافة الزجاج شعر به يتحرك الى أعلى • تشبث به ولكنها استطاعت أن تغلقه قائلة : لقد رآك •

وتساءل : اذا كان قد رآه وتعرف عليه فلماذا لم يعترضه ويفعل ما يريد ؟ لماذا تركه بالقرب من السيارة وأية فرصة تلك التي يعطيها له ؟ أم هو يدرك بأنه لن يفعل شيئا سوى أن ينظر اليها من خلال الزجاج المغلق دون أن يجشم نفسه أن يقود سيارته ويغادر المكان •

التقطت أذنه الاصوات الخافتة وتشم رائحة الغبار قبل أن يراه عند بداية الشارع ، شفافا تحت أضواء أعمدة النور ، وعندما تسقط عليه كشافات العربات أخذ الغبار يزداد كثافة واعتمت الاضواء ، ثم شعر بالارض تهتز من تحته • لاحت كتلة قاتمة تسد الشارع • تقترب ببطء وتخفي بين طياتها كل ما يقابلها • برزت رؤوس كثيرة متلاصقة ، بلا ملامح معينة • مئات من أزواج العيون ، في مئات من كرات مستديرة ، معفرة ، تتدفق وتتقدم ، والاصوات تعلو وتهدر • تذكر على التو موسيقى سمعها مرارا • نفس الاصوات المبهمة ، تبدو وكأنها تنطلق من بئر سحيق العمق يصحبها ما يشبه الطبول أو الصدى • نفس الاصوات التي تقترب ببطء يعقب ذلك تدفق أو انهيار كاسح يقشعر له البدن ويقف له شعر الرأس •

ألصق نفسه بالسيارة وضغط على زجاج النافذة بصدره • الا أن الرؤوس جذبته اليها أثناء تدفقها وقذفت به وسط الدوامة • وجد نفسه يدور حول نفسه مرة ومرتين والرؤوس تدفعه فيسير تارة بظهره متعثرا الى الامام ، ثم يعود ليتلقى في وجهه دفعة قوية تدحرجه • وتملأ وجهه بالرذاذ وبالانفاس الحارة الملتهبة ثم يشعر بوخز كوخز الاشواك في جسده وبالركلات على ساقيه وجنبه • وتدفعه الرؤوس الى الخلف دفعة قوية فتلقيه على الرصيف يندفع نحو السيارة ممزق الثياب ويفتح بابها الامامي وينزلق داخلها مبهور الانفاس يملأ جوف السيارة برائحة العرق والغبار • وعندما التفت اليها بعينيه الملتهبتين وجدها منكمشة في مقعدها تحدق فيه بعينين مذعورتين •

رسالة من وراء الضباب

عبد الهادي حرب

أنا باسم الله أو اسم الحب
سأراسل محبوبي يارب

سأخط بريش من هدبي
وبحبر من دمع القلب

من مسكين يشقى ، يدأب
ليكون بفضلك أفضل أب

يا رب إغفر وارحم يارب

بالامس كتبت لعنقاء
واليوم أقول قصيد الرخ
مرثية طفل لم يولد
مرثية سقط لم يصرخ

لا تقرب يا ولدي منا
لا تعرف أنسا أو جنا
ولتبق ملك · في كل فلك

رحماك وليدي لا تولد
رحماك وجودي لا توجد

أرثي علقه
أرثي انسانا لم يوجد
أرأيتم انسانا قبلي يرثي علقه
يرثي مولودا لم يولد

شجر تتساقط أوراقه

والفصل ربيع

وبراعم زهر قد سقيت

أنهار دموع

بعواطفنا غذيناها ،

بمشاعر نار بيناها

وعرفنا الجوع عرفنا الجوع

ذكرا قد كانت أم أنثى
ورضينا حتى بالخنثى

لتكون فتاتي أفضل أم
وأكون أبا، وحملت الهم

★ ★

ـ ٣ ـ

عذالي قالوا لي عنها : زوج عاقر
ولها قد قالوا : مسكين هذا الشاعر
لا يعرف غير حياة خيال

لا يعرف انجاب الاطفال

لكن فتاتي قد قالت : كذب ومحال
وأنا يكفيني منه الحب
والكون بغير الحب تراب

سبحان الله هو الوهاب

قد يعطي انثى أو ذكرا

ويزوج ذلك للفقـرا

ويؤخـر ذلك أو يعقـم
فلماذا أحمل هذا الهم

والكل تراب ؟!

وأنا قد قلت : لقد قالوا من قبل لسيدنا أحمد
: لن تنجب أبناء أبدا . أنت الابتر
قال الله المعطي الاكبر
: « انا أعطيناك الكوثر »
يا أحمد شانئك الابتر

★ ★

ـ ٤ ـ

لكن حنان أمومتها
يجري منها مجرى النفس

فدعت ساعات في غلس

صلت ، ناجت ، نادت :
يا رب ارزقني طفلا لا يولد

هب لي ما شئت ولو أطرح
فأنا بالحمـل غـدا أفرح

فأجـاب اللـه ضراعتهـا
وسذاجتهـا وبراءتهـا
حملت ، وحمت ، وتمنت كل الاشياء
وأعدت كل الاشياء
لم تغفل حتى الاسماء

فمحمد خير الابناء

وهـدى ، ورهيـف

ولاجلهما نرضى برغيـف

سنربي الطفل على التقوى
وسنرضعه حب الادب
وسنقرئه كل الكتب
ليكون خليفة والده
وعددنا حتى اللحظات
نرقب ساعة مولده
لكن الساعة قد جاءت .. مثل الساعة
وانهارت أحلام اليقظات
والتوأم مات التوأم مات

★ ★

ـ ٥ ـ

يرحمك الله ويرحمنا لكن من أنت ؟!

من أين أتيت ؟ وكيف نبت ؟ وكيف ذويت ؟

ولماذا جئت ! لماذا رحت ؟ لماذا قبل المحيا مت؟!
لم تنطق كلمة يا « ماما »

لم تنطق كلمة يا « بابا »

وصمت صمت

كالبرق الخاطف قد نورت
كالبدر الساطع قد أطللت
كالحلم مررت
وسقطت سقطت
قالوا : ميت وأراك تعيش
نحن الموتى يا ولدي

مـا الميـت أنـت
رحماك وليدي لا تولد
رحماك وجودي لا توجد

★ ★

ـ ٦ ـ

مسكين عيش الشعراء
مسكين عيش العلماء
مسكين عيش الادباء
للتاجر قصر يسكنه
للعامل بيت يصنعه
يشري ويبيع ، يؤجره

ولهم أبيات

لا بيت فرد بل أبيات
كالاحرف تكتب فوق المـاء
وبيوتهم فوق الماء
واذا ولدوا : ولدوا أبحاثا ومقالات
شعرا ، رسما ، موسيقى ، أو كلمات
واذا ما عاشوا كالبشر
وتخلوا عن تلك الصور

ولدوا توأم

والتوأم مات

★ ★

ـ ٧ ـ

فلماذا تترك يا ولدي
جنات الخلد ورضوانا
ولماذا تأتي دنيانـــا
ملكا تجعله دنيانا

لما يأتيها شيطانا

وتلونه ، وتقلبه كالحرباء
فلتبق طهورا كالماء
لا تأت هنا ، تنظرنا ، تتعقد
رحماك وجودي لا توجد

★ ★

ـ ٨ ـ

تبكيك الام أيا ولدي بدم ودموع
وأنا أضحك
ضحكات من أعماق القلب
لكن دموعي قد صلت شكرا للرب
لم أجن أنا ، لم أجن الذنب
ليقول وليدي من بعدي كم يجني الاب
شعرا أصبحت بدنيانا
فرطا أمسيت بأخرانـــا
فلماذا تحمـــل أحزانا ؟

ولماذا موتك أبكانا ؟

ولماذا العتب ؟

شكرا يا رب

شكرا يا رب

ـ ٩ ـ

وختاما يا ولدي أهدي · من أرض الدنيا السـفليه
لسماء علاك القدسية
وأغني هذي الاغنية

من نفس راضية أبدا
بقضاء الله وبالقدر

لتراك هناك على قدر
روحا يسمو فوق البشر

ذخرا ، فرطا ، لمدى عمري
لتكون هنالك مرضية

لو جئت الدنيا يا ولدي وعرفت الجوع
أو ذقت كما ذقنا قبلك لدغ الحية · والسم ذريع
والحية تجمع لدغتها شيخا برضيع
ورأيت العالم ألوانا عمي · وشموع
لوددت رجوعا دون رجوع

ووددت لو أنك لم توجد
لا تولـــد
رحماك حبيبي
رحماك حبيبي لا تولد

أدب الأطفال في سورية

عيسى فتوح

— ١ —

مقدمة عامة

ظهرت كتب الاطفال ، أول ما ظهرت ، في القرن السابع الميلادي باللغة اللاتينية ، وكان هدفها تعليم الدين ومبادىء الكتابة ، لكن أدب الاطفال لم يتقدم بخطى سريعة الا بعد اختراع المطبعة • ففي عام ١٤٤٨ طبع كاكستوك أول كتاب للصغار ، وهو خرافات وأمثال الحكيم اليوناني ايزوب ••• وحتى نهاية القرن الخامس عشر لم يكن هناك الا كتيبات أغان ، ووصف ألعاب للحفلات • ثم ظهرت الالواح ، وهي صحف ملصقة على خشب في اطار من قرن الخرتيت ، ولذلك عرفت بكتب القرن ، وهي عبارة عن الاحرف الابجدية والارقام والصلوات ليتعلمها الصغار ، ثم أصبحت من الكرتون ، وأخيراً من الورق ، وظلت تضاف اليها مواد أخرى غير تعليمية حتى القرن الثامن عشر الذي شهد نهضة في تأليف كتب الصغار وطبعها • ويعد جون نيويري ، المؤلف والناشر ، أول من أصدر كتبا مصورة للاطفال على ورق ممتاز ، وبالرغم من أن بعض قصص شكسبير ، ورحلات غوليفر ، وروبنسون كروزو أعدت في طبعات خاصة للصغار ، الا أن الهدف منها كان تعليمياً•

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، وبفضل ظهور كتاب — أميل — لجان جاك روسو ، ونظريات لوك في التعليم ازدهرت مدرسة ممتازة لانشاء كتب تعليمية ، بالغت في هذا المجال ، ولمعت أسماء لمؤلفين معروفين مثل ماريا ادجوورث ، ووليم بليك الذي ألف كتاب — أغاني البراءة والتجربة — وأجرى الحكمة على لسان الاطفال •
ويعد القرن التاسع عشر ، ولا سيما نصفه الثاني ،

العصر الذهبي لادب الاطفال ، اذ عكف الاخوان غريم على جمع القصص الشعبية الالمانية مدة ثلاثة عشر عاما ، كما ظهرت مجموعة أخرى بالالمانية في سويسرا بعنوان « الاسرة السويسرية روبنسون » عام ١٨١٣ ، ثم كتب القاص الدانماركي هانس كريستيان أندرسون طائفة كبيرة من القصص ، استلهم بعضها من الادب الشعبي ، وبعضها الاخر من حكايات كتاب ـ ألف ليلة وليلة ـ ، ونشر الكاتب الانكليزي روبرت لويس ستيفنسون قصة رومانسية تدعى ـ جزيرة الكنز ـ على حلقات في مجلة للاطفال ، ولما جمعها في مجلد واحد لاقت رواجا كبيرا ٠ ولا يجوز أن نغفل في هذا المقام العمل الذي قام به تشارلز وماري لام اللذان لخصا جميع قصص ومسرحيات شكسبير ، وأعداها اعدادا جيدا للاطفال ٠

وفي القرن التاسع عشر دخل هذا الميدان عدد من أشهر الكتاب والمؤلفين مثل : تشارلز ديكنز ، وجون رسكين ، ورديارد كبلنغ ، وليون تولستوي ٠٠٠ وظهرت كتب ملونة ، وتخصص الفنانون في رسوم الاطفال لتزيين الكتب الموجهة لهم ، وتنافسوا في حسن الاخراج ، وجمال التنفيذ والتغليف ٠ وما أن أطل القرن العشرون حتى كان في وسع الاطفال أن يطوفوا العالم ، ويجوبوا البحار، ويحلقوا في السماء ، ويعرفوا أسرار العلوم الدقيقة بواسطة كتبهم المبسطة المشوقة ٠

واتسع الافق فأصدرت لهم المجلات المتخصصة ، وانتجت الافلام الملونة الرائعة ، وأخذ الاطفال في كل بقعة من بقاع العالم يتعارفون من خلال قصصهم وحكاياتهم وأنشئت لهم الهيئات والمؤسسات التي تعنى بأدبهم ، كما عقدت عدة مؤتمرات لتطوير تأليف كتبهم ، واخراجها بشكل جذاب وأنيق ٠

ـ ٢ ـ

أما الادب العربي فلم يعرف التأليف للاطفال الا في زمن متأخر جدا ، ولا نكاد نلمح في تاريخه الطويل الا اشارات عابرة للاطفال ، فقد كانوا يعيشون على هامش الاسرة ، لان شظف الحياة كان يصرف الكبار عن العناية بهم ، وتوفير الحياة الكريمة لهم ، يعيشون في الاسرة كما تعيش الحملان في القطيع ، وقد يشتدون في معاملتهم لكي يصنعوا منهم رجالا قادرين على تحمل الحياة القاسية الصعبة ٠

ان ما ذكر عن الاطفال في الادب العربي حتى بداية عصر النهضة الحديثة ، لا يتعدى الاشارات العابرة التي تصف مكانتهم في الاسرة ، ومحبة الوالدين لهم ، وهي اشارات سطحية عارضة لا يمكن أن نعدها من أدب الاطفال في شيء ، لانها وردت في متون القصائد ، ولم تكتب خصيصا لهم ، أو توجه اليهم ، كقول الشاعر الاسلامي حطان بن المعلى :

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

ـ ٣ ـ

لم تظهر بوادر الكتابة الجدية للاطفال في الادب العربي اذن الا في مطلع القرن العشرين وفي مصر بالذات، حينما حاول الشاعر أحمد شوقي نظم خرافات مشهورة على ألسنة الحيوانات من ايزوب اليوناني ، أو من كليلة ودمنة ، أو من مطارح خياله ، وقصد منها عظة الحكام ، وتهذيب العامة مع شيء من الهزل ٠ قال في مقدمة الشوقيات : « وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير ٠٠٠ وكنت أتمنى لو وفقني الله ، لاجعل لاطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المتمدنة ، منظومات قريبة المتناول ، يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم » ٠ ولا ريب في أن مغزى بعض الحكايات سياسي ، يرمي الى انتقاد الحكام ، أما بعضها الاخر فيرمي الى أغراض اجتماعية (١) ٠٠٠٠

فحكاية ـ ملك الغربان وندرو الخادم ـ تمثل الرجل القوي المغرور بنفسه ، لا يريد أن يسمع نصيحة من هو أقل منه قوة ، ثم انه يقع في مأزق فيحتاج الى مساعدة الذين نصحوه بالامس ، فاذا هم عاجزون عن مساعدته ، بعد أن فاتت الفرصة ، أو شامتون به ٠٠

أما حكاية ـ الديك والثعلب ـ فيدور مغزاها على الماكر الذي يريد أن يخدع الناس ، ولكن يظل بينهم من لا تنطلي الحيلة عليه يقول في مطلعها :

برز الثعلب يوماً	في ثياب الواعظينا
فمشى في الارض يهدي	ويسب الماكرينا
فأتى الديك رسول	من امام الناسكينا
عرض الامر عليه	وهو يرجو أن يلينا
فأجاب الديك عذرا ٠٠	يا أضل المهتدينا
بلغ الثعلب عني	عن جدودي الصالحينا
انهم قالوا وخير الـ	قول قول العارفينا :
مخطيء من ظن يوما	أن للثعلب دينا

ومن حكاياته الجميلة حكاية ـ اليمامة والصياد ـ وهي تمثل الغبي الثرثار الذي يمكنه أن ينجو مما يحيط به من أخطار اذا ظل ساكتا ، لكنه يتكلم فيلفت اليه أنظار أعدائه ومنافسيه ، فيؤدي ذلك الى هلاكه ٠

ولشوقي قصائد تعليمية وتهذيبية أخرى كقصيدته في جدته ، وقصيدته في المكتب ، لكن محاولة شوقي (٢) تظل صلبة وعرة ، يسودها الجفاف في معظم الاحيان ، لانه كتب للصغار بلغة الكبار ، ونسيجهم وتعبيرهم ، ومع ذلك يبقى الرائد الاول الذي أدرك خطر هذا الموضوع وجلاله ودق بابه الموصود جادا ، ودنا من عالم الاطفال الذي أهمل حقبا طويلة ، فولجه في كثير من المحبة والالفة ٠

ـ ٤ ـ

ويحذو حذو شوقي الشاعر المصري محمد الهراوي الذي نظم ثلاثة دواوين صغيرة مصورة لطلاب المدارس الابتدائية سماها ـ سمير الاطفال ـ كانت الغاية منها تعليم الصغار الانشاء والاملاء وتقويتهم في المطالعة ، وتمرينهم على الحفظ ، قررتها وزارة المعارف المصرية في مدارسها عام ١٩٣٠ ، وقد تحدث في الجزء الثاني منها عن : الطبيب والمحامي ، والخطيب ، والهر المرائي ، ومحبة الوالدين ، وحصالة النقود ، والساعة ، والمذكرة ، والمنظار ، والباخرة ، والمسرة (الهاتف) ، وآلة التصوير ، والحاكي (الفونوغراف) ، كما ضمنه بعض الاناشيد : كأنشودة التلميذ ، ونشيد رأس السنة ، والعيد ، وشم النسيم ، والنيل ، وكلها تخلو من عنصر الحكاية ، الا قصيدة ـ الهر المرائي ـ التي تبين لنا أن المنافق يستحيل عليه أن يخفي ما يدور في نفسه ، فيبدو ذلك جليا في مقلتيه اللتين تفضحانه :

عبثا يخفي المرائي ما بدا في مقلتيه

ولا يختلف الجزء الثالث في شيء عن الثاني ، فقد تحدث فيه عن : الكمنجة ، والهدية ، والمحكمة ، والشقاق مجلبة الفشل ، والشحاذين ، والاهرام ، وأبي الهول ، ودار الآثار ، ودار الكتب ، والتمثيل ، والخيالة (السينما) والآلة الكاتبة ، بالاضافة الى : نشيد الفلاح ، ونشيد الكشافة ، ولم يكن يهدف من وراء ذلك كله الا تبصير الطفل بما يحيط به من أشياء وتعريفه بها ، وهي أشبه بدروس تعليمية صرفة ، لا تغذي خياله ، ولا تشده اليها ، لانها تقريرية خالية من عنصري القص والتشويق ٠٠٠ تقتصر على تقديم المعرفة بطريقة مسطحة جامدة ، ولعل قصيدة ـ الشقاق مجلبة الفشل ـ التي تدور حوادثها حول ثعلبين وفريستهما ، هي القصة الشعرية الوحيدة في الجزء الثالث ٠ وملخصها أن ثعلبين اقتتلا على فريسة ، وادعى كل منهما أنها له ، واشتد الخصام بينهما ، حتى انقض صقر من السماء فحملها وطار بها بعيدا ، فندما وتلاوما ، ولكن ما فائدة الندم والعتاب بعد فوات الاوان ؟

أما قصيدته في ـ الكمنجة ـ فلا تخرج عن كونها قصيدة تعليمية ، لا تثير في نفس الطفل أي انفعال أو

شعور ، ولا تحرك فيه ساكنا ، اللهم الا ما تبعثه أنغامها في النفس من الانس والبهجة ، بعد الوحشة والاكتئاب .

ومثلها قصيدة ــ الشحاذون ــ التي تعلم الصغار الاريحية والكرم ، وتحثهم على التصدق على الفقراء ، وتحذرهم من تضليل الدجالين الذين يتظاهرون بالفقر والمرض، ليستدروا أكف المحسنين، بعد أن تحول الاستعطاء عندهم مهنة رائجة ، ولجأ اليها كل متعطل عن العمل لانها مورد عذب :

أعط الفقراء على ثقة — واحذر من يسأل في السبل
فكثير منهم مختلق — وكثير منهم ذو حيل
كم لص منهم مستتر — بالفقر تظاهر والعلل
وجد الاحسان يسوق له — رزقا فتعطل من عمل
ومضى يستعذب مورده — وتعود أخلاق السفل
أن تعط السائل بغيته — تكثر في الناس الهمل

ـ ٥ ـ

الا أن كامل كيلاني يبقى الكاتب الاول الذي ترك بصماته الواضحة على أدب الاطفال في مصر ، ويليه كل من : محمد عطيه الابراشي ، ومحمد أحمد برانق ، وحسن جوهر ، ورفعت الجندي ، وعادل الغضبان ، ومحمد سعيد العريان ، ومتولى عطية ، وعبد الحميد الطرزي ... أما في ميدان الترجمة فنذكر : ابراهيم عزوز ، وأحمد قابيل ،وأمين العطار وأمينة السعيد وغيرهم .

لقد ألف كامل كيلاني وترجم واقتبس ولخص مئات القصص ، ونشرها تحت أسماء : ـ قصص فكاهية ، قصص من ألف ليلة وليلة ، قصص هندية ، قصص شكسبير أساطير من العالم ، أشهر القصص ، قصص علمية ، قصص تمثيلية ـ ... وتوخى أن يختار أحسن القصص وأروعها وأجملها ، شارحا كل كلمة يظن أنها فوق مستوى الطفل.

أما محمد عطية الابراشي فقد بلغ مجموع ما نشره في عشر سنوات من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ مئة وأربعة كتب بين مؤلف ومترجم ، اختار لها صفوة القصص من شرقية وغربية ، وراعى فيها ميول الاطفال ورغباتهم وتفكيرهم وخيالهم ، حتى أنه كان يقرأ الكتاب القصصي الكبير فلا يختار منه ـ بالرغم من تعدد قصصه ـ الا قصة واحدة ، وقد نوع في اختياره ، فأتى بالقصص الخيالية والواقعية والاجتماعية، والخلقية ، والعلمية، والادبية، والجغرافية، والتاريخية .

ان أي كتاب نشره في سلسلة ـ المكتبة الحديثة للاطفال ـ يتصل بحياة الطفل كل الاتصال ، ويرغبه في القراءة ، ويشوقه الى الاستمرار فيها ، فما أن يبدأ أول قصة حتى يستهويه وضوحها ، وسهولة لغتها ، وجمال أسلوبها ، وحرصها على المثل العليا في النواحي الخلقية والاجتماعية والعاطفية ، فيمضي الى نهايتها ، وقد راعى فيها جميعا سهولة اللغة ، وجمال الاسلوب، وشرح الكلمات اللغوية الصعبة ، كما وضح بعض القصص بالصور التي تعين على فهمها، فيكتسب الطفل منها دقة الملاحظة، وجمال الذوق ، وكان يضع في نهاية كل قصة مجموعة من الاسئلة للاجابة عليها . كما يضع طائفة من الاجوبة ، يطلب السؤال عنها .

لايمكن سرد أسماء جميع كتب الاطفال، أو السلاسل المتنوعة التي صدرت فيها ، في مصر ، فقد سبقتنا في هذا المجال بأشواط واسعة ، لكنني أحيل من يريد التوسع الى العدد ٤٨ من مجلة ـ الكتاب العربي ـ الخاص بكتب الاطفال التي صدرت ما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ وهو يحوي دراسة شاملة لها ، مع قوائم علمية بانتاجها ، ولا شك في أن كتبا كثيرة صدرت قبل هذين التاريخين وهذا الفيض في كتب الاطفال في مصر (٣) يشعرنا بالتقصير الفادح أمام فلذات أكبادنا ، ويدعونا الى تدارك هذا النقص الكبير، وسد الثغرة التي فتحت في أدبنا العربي على مر العصور.

ـ ٦ ـ

نشأ أدب الاطفال في سورية في ظل المدارس ، وكانت الغاية منه التعليم والتهذيب والتوجيه ، والحث على الفضائل ، والتمسك بالقيم ، والسعي للوصول الى المثل العليا ٠٠٠ ولا أعرف من عمل في هذا الميدان قبل جميل وأنور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني ، فقد أصدروا معا كتاب ـ الاستظهار المصور ـ في أدب البنين والبنات ، عن المكتبة الهاشمية عام ١٩٣٧ فجاء في حلقتين لا يزيد عدد صفحات كل حلقة على الثلاثين صفحة ، ساروا فيهما على نهج الشاعر محمد الهراوي في مصر ، فتحدثوا عن : البطيخة ، والقبرة ، والاعتماد على النفس ، والابرة ، واليراعة ، والديك ، والدجاجة ، ومكارم الاخلاق ، والعلم ، والفلاح ، والقلم ، وكرة القدم ، والصباح ، والنحل ، والكتاب ، والارنب ، والعمال الصغار ، والهرة النظيفة ، بالاضافة الى عدد من الاحجيات والاناشيد ٠٠ وقد طغى على هذه الاناشيد طابع التعليم والارشاد ، وقلت فيها الحكاية ٠ ولا غرو ، فقد نظمت لتلاميذ المدارس في المرحلة الابتدائية ، فاختيرت لها الابحر السهلة ، كالوافر ، والرمل ، والهزج ، والمجزوء ، كمجزوء الكامل وغيره ٠٠٠ من هذه الاحاجي التي تروض ذهن الطفل ، وتحثه على التفكير ، قول جميل سلطان في المنديل ، تحت عنوان ـ احزر ؟ ـ

ما الذي ينشأ في الـ — تراب تحت قدميك
تغزلـه الآلـة أو — ينسج ما بين يديك
وهو بكل صبح — مقبل لوجنتيك
احزر ! هو ٠٠٠ قد — خصص في البيت اليك

وتعتمد قصائد ـ الاستظهار المصور ـ على الوصف الدقيق ، وبعث روح الهمة والعمل والنشاط ، ومن أنشط من النحلة ليضرب بها المثل في الدأب والمثابرة ، والجلد والكفاح ؟ يقول جميل سلطان تحت عنوان ـ نحن والنحل ـ :

النحلة المبكرة — تطوف حول الزهرة
خارجة من معمل — لروضة منحدرة
ساعية عاملة — عن ساقها مشمرة

ونلاحظ في هذه القصيدة كيف جعل النحل قدوة ، وربط العمل بالمكافأة ، فالنحلة تكافأ على جهدها بالشهد ، والطفل يكافأ على الدرس بقطعة السكر ٠

وفي قصيدة ـ أغنية الصغير ـ حث على الاجتهاد وحب الادب ، والتمسك بالقومية العربية ، واحترام المعلمين والتفاني في سبيلهم :

أنا في سن الصغر — لست أعرف الضجر
همتي فوق البشر — واجتهادي لا يلين

ـ ٧ ـ

لا أذكر كتابا آخر صدر للاطفال ما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٦٠ الا مسرحية القاص عادل أبو شنب ـ الفصل الجميل ـ التي صدرت عن دار مجلة الثقافة عام ١٩٦٠ وهي مسرحية ذات فصل واحد ، كتبها ليسد بها فراغا بينا في أدب الاطفال ، كما يقول في مقدمتها ، وليجيب على كثير من التساؤلات الملحة : ـ لماذا لا يكون للاطفال مسرح خاص بهم ؟ لماذا لا تؤلف مسرحيات خاصة بهم ؟ لماذا يعرض كتابنا عن هذا الضرب من الادب ٠٠٠ من أجل الاكباد التي تستحق التعهد والرعاية منذ الصغر ؟ ـ ٠

تصور مسرحية ـ الفصل الجميل ـ مشهدا لا يمكن وقوعه في العالم المألوف ، كما أن الاشخاص الذين يمثلونها رموز لمدلولات معنوية في أغلب الاحيان ، فهي اذا مسرحية اسطورية ، أبطالها الشتاء ، والفتاة ، والبستان ، والمدينة والغابة ، والربيع ، لذلك يؤكد المؤلف على أن يكون الديكور فيها منسجما مع الحوادث الاسطورية التي تعالجها وعلى أن تكون الملابس منسجمة أيضا ٠ وقد كان يظن أن الاقدام ـ على تأليف هذا الضرب من المسرحيات أمر سهل يسير ، وأن مسرحية صغيرة كهذه لن تستغرق أكثر من يوم

وليلة في أبعد الحدود ، ولكن تبين أن التقهقر الى عالم الطفولة وانتقاء الكلمات التي يمكن أن تنطق وتفهم بسهولة، واصطفاء فكرة مشوقة يهتم لهاالاطفال ويتابعونها أمور صعبة جدا ـ ٠

كتب حوار المسرحية بلغة قريبة من السجع ، ربما ليمنحه شيئا من التنغيم والموسيقى ، ويبدو قريبا من الشعر ، فيسهل حفظه على الاطفال ، الا أنه لم يكن يلتزم ذلك دائما ٠٠٠ يقول على لسان الشتاء مثلا : ـ أنا الشتاء ، صانع الخيرات ، حامل البركات ، لولاي ما جرت في الربيع الجداول ، لولاي ما كانت في الصيف السنابل ، لولاي ما غنت العصافير والبلابل ٠٠٠ ـ ٠

ـ ٨ ـ

ثم يجب أن ننتظر أربع سنوات أخرى ، حيث يطالعنا ديوان ـ أغاني الاطفال ـ للشاعرأبي سلمى ـ عبد الكريم الكرمي ـ الذي أصدرته مكتبة ـ أطلس ـ بدمشق عام ١٩٦٤ ، ويحوي سبع عشرة قصيدة وأنشودة كلها من نظمه، باستثناء أنشودة ـ ديكي أحبه ـ التي اختارها للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، وقد وضع أمام كل قصيدة نوطتها الموسيقية ، ما عدا القصائد الخمس الاخيرة ٠

يذكر أبو سلمى في مقدمة الديوان الدوافع التي حملته على الكتابة للاطفال ، فيجعل في طليعتها خلو مكتبتنا العربية من هذا اللون الموجه للصغار ، والى أن الادب العربي القديم قد أهملهم كليا عدة قرون ، فعاشوا في عالم عابس صارم ، خال من البهجة والسرور ، وقد توخى ـ أن تكون ألفاظ هذه القصائد الغنائية سهلة ، وأوزانها خفيفة ، وموضوعاتها مشوقة ، وأن تحمل أفكارا بسيطة ونبيلة ، وأن تحبب أطفالنا بالطبيعة ، والوطن ، وعمل الخير ٠٠٠ كذلك جاءت ألحانها منسجمة ومتسقة تتعاون مع الكلمات والموضوعات على تهذيب وتوجيه تلك النفوس البريئة الصغيرة التي أهملها أدبنا العربي طويلا ـ ٠

ولما كان يعرف ولع الصغار بالحيوانات والطيور ، ولا سيما الاليف منها، فقد نظم لهم أناشيد ـ راعي الغنم ـ و ـ الببغاء ـ و ـ البلبل ـ ، وحدثهم بأسلوب لطيف عن القطة ، والديك ، والعندليب ، والعصفور ، وحاول أن يكحل أعينهم بمفاتن الطبيعة الجميـلة ، ويبصرهم بمحاسنها ، ويطلعهم على أروع ما فيها من بهجة واشراق في ـ نسيم الربى ـ و ـ النهر ـ ، ولم يفته أن ينمي فيهم الاحساس بالقومية العربية ، فكتب لهم ـ جنة الدنيا بلادي ـ و ـ يا رفاق السلاح ـ و ـ نشيد الحرس ـ و ـ عيد الجلاء ـ و ـ الوحدة العربية ـ ويلفت أنظارهم الى واقع اخوانهم أطفال فلسطين الذين نزحوا عن أرضهم وديارهم عنوة في قصيدة ـ الشريد ـ ٠ كما حاول من خلال قصائده أن يرشد الاطفال الى القيام بواجباتهم ، ويحثهم على الدرس والجد والاجتهاد ، فيخاطب الطفلة ـ ليلى ـ بهذه الكلمات المأنوسة العذبة قائلا لها :

هيا اكتبي درسك يا ليلى
ثم العبي وقطتي ليلا
وحاذري أن تغضبي

ثم يتحدث بلسان ليلى الى القطة ألا تأكل عصفورتها حبيبتها ، وأن تنتظر لترى المستقبل الباهر الذي ينتظرها، ما دامت تسير في دروسها سيرا حسنا ، وترجو القطة ألا تشعر بالضجر والملل ، اذا لم تستطع أن تنصرف اليها وتلاعبها ، ففي البيت أمها وأبوها ، وهي تؤثر كتبها على كل شيء ٠

وفي ـ نشيد الببغا ـ ينصح بألا يكون مقلدا مثلها ، ويكرر له عبارة ـ فلا تكن كالببغا ـ :

تقول ما قيل لها فلا تكن كالببغا

ثم يصف شكلها : فمنقارها محدب ، وريشها جميل ، واذا حبسها الطفل فلحرصه عليها، وتعلقه بها، ولحبه

اياها ، لانها تؤنسه في وحشته :

منقارهـا محـدب	وريشـهـا محبب
أحبسها في غرفتـي	وذاك من محبتـي
تؤنسني في وحشتي	الببغـا ، الببغـا
لسانها ما أطولـه !	وشكلها ما أجملـه !
فمـرة تحبنـي	ومـرة تسـبني
تقول ما قيل لهـا	فلا تكن كالببغـا

وبالاجمال فديوان ـ أغاني الاطفال ـ لابي سلمى كان أول لبنة وضعت في بناء شعر الاطفال في سورية ، وقد حوى كل براءة الاطفال ، وعالمهم الملون الزاهي المليء بالخيالات والاحلام المجنحة ٠

ـ ٩ ـ

لاحظنا من النماذج التي مرت بنا ـ باستثناء ـ أغاني الاطفال والفصل الجميل ـ أنها كانت تخاطب الصغار بلغة الكبار الذين أبوا أن يترجلوا عن خيولهم الخشبية ، ليداعبوا طفلا بأنشودة ، أو يضعوا على ثغره أغنية ، أو أقصوصة ، أو حكاية ٠ وهي أقرب الى الانشاء ، منها الى أدب الاطفال الحقيقي ٠ لكن لم يكتب لهذه المحاولات التي مرت بنا أن تتبلور ، الا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ، وصدور مجلتي ـ أسامة ـ عام ١٩٦٩ ، و ـ رافع ـ عام ١٩٧٠ للاطفال ، حيث توجه بعض الشعراء وكتاب القصة بانتاجهم للاطفال ، كسليمان العيسى ، وزكريا تامر ، والمرحوم عبد الله عبد ، وعادل أبو شنب ، وأيوب منصور ودلال حاتم ، واسكندر لوقا ، وليلى سالم ٠٠٠

يقول سليمان العيسى (٤) ـ وذات يوم أفاقت أمتنا العربية على كارثة من كوارثها المتلاحقة ، على نكسة حزيران ٠٠٠ في هذه الزوبعة السوداء الخانقة ٠٠٠ التفت الى الاطفال ٠٠٠ رأيت في عيونهم غد الامة العربية ومستقبلها ٠ لم لا أتجه اليهم ؟ لم لا أكتب لهم ؟ لم لا أنقل اليهم همومي كلها؟ الشهيد الذي يسقط على أرض المعركة، وهو يقاتل الغزو الاسود ، لا أستطيع أن أنتقم له بأحسن من أغنية تحمل قطرة من دمه ، وتتردد حارة على شفاه الاطفال ٠٠٠ نتوارى نحن ٠٠٠ نيبس ، نجف ، ويأتي أطفالنا أمواجا متلاحقة ترفد المد العظيم ٠٠٠ من ايماني بهذه الحقيقة الصغيرة الكبيرة ، المتواضعة الشامخة ، بدأت رحلتي مع الصغار ، أخذت أكتب لهم ، أغني معهم، أنفق الساعات الطويلة بينهم ، أختار لهم الكلمة المشرقة ، والصورة الموحية ، والموسيقا المعبرة ـ ٠

وكذلك يربط القاص زكريا تامر بين نكسة حزيران واتجاه الشعراء والكتاب نحو الاطفال ، غد الامة العربية المشرق ، ليغرسوا في قلوبهم معنى الايمان والصمود ، ويجسدوا في أذهانهم فكرة البطولة الحقة ، فكأنهم قد يئسوا من الكبار ، فمالوا الى الصغار ، لعلهم يغسلون عار حزيران ، بعد أن يصبحوا شبانا ، يتفجرون عزما وقوة ومضاء فيقول :

ـ عندما جاءت حرب حزيران ونتائجها ، ازداد ارتباطي بالواقع ، وصار أكثر حدة وصرامة ، وابتدأت أنظر الى الصغار نظرة مختلفة ٠ انهم الجيل الذي سيطلب منه في المستقبل أن يجابه عدوا شرسا ، ولذا فلا بد من منحه الوعي وارادة التحدي ، والرغبة العميقة في التغيير والحفاظ عليه ٠٠٠ لا بد من أن يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل العدالة والحرية والفرح ـ ٠

وقد تكون هناك حوافز عامة أخرى للكتابة للاطفال ، منها خلو مكتبتنا العربية من كتب الاطفال ، وميل بعض الكتاب بالفطرة الى هذا اللون المحبب الممتع من القصص التي تدور على ألسنة الحيوانات والطيور ، وأبطالها النهر ، والبحر ، والسماء ، والريح ، والعصافير ، والقطط ٠٠٠ الا أن وجود مجلات للاطفال أسبوعية أو نصف شهرية أو شهرية كان العامل الاهم على تطوير أدب الاطفال ، فأقبل الكتاب على التأليف والترجمة اقبالا منقطع النظير، ليسدوا نهم الاطفال الشديد للقراءة والمطالعة ، فالطفل قارىء جيد وذو طاقة جبارة على الحفظ والاستيعاب ، يلتقط بسرعة ، كأنه رادار عجيب ، ويعكف ساعات طويلة على القراءة بلا ملل أو كلل ، اذا كانت المادة التي يقرؤها جذابة ، تخاطب مشاعره ، وتداعب أحاسيسه ، وتروي ظمأه الى المعرفة ٠

ان من يطلع على السلم البياني لمطبوعات ومبيعات مجلة ـ أسامة ـ (٥) يذهل لهذا الارتفاع الملحوظ في نسبة

الطبع والبيع والتوزيع ، فالاطفال يقبلون على قراءتها ، ويترقبون صدورها أول ومنتصف كل شهر بفارغ الصبر، فلا تكاد تصل الى الاسواق ، حتى تنفد في أيام معدودات ولا يبقى أي أثر لها ... ولا ننس أن سعرها الزهيد ، رغم غلاء الورق وأجور الطباعة ، يغري أفقر طفل بشرائها وربما بشراء أكثر من نسخة، ولايمكن أن يسد هذاالنقص الا بجعلها أسبوعية ، أو زيادة عدد صفحاتها الى أكثر من اثنتين وثلاثين صفحة . أما مجلة ــ رافع ــ التي صدرت في ١٥ـ٨ـ١٩٧٠ عن مؤسسة الوحدة فلم تعش الا عاما واحدا ، وكانت تصدر صباح كل سبت في اثنتين وثلاثين صفحة من القطع الوسط ، بخط اليد ، وتخرج أجمل اخراج ، وتحمل للاطفال القصص والحكايات والرسوم الجميلة ، وسميت باسم رافع ، نسبة الى رافع بن خديج ، وهو فتى عربي شجاع من قبيلة الاوس ، كان يحب وطنه العربي حبا جما ، ويؤمن أن السيف وحده هو القادر على هزيمة الظلم . وقد ساهم في تحريرها كل من الشاعر سليمان العيسى ، ومحمود السيد ، وزكريا تامر ، وأيوب منصور .

من الشعراء الذين برزوا بشكل واضح في ميدان الكتابة للاطفال سليمان العيسى الذي كرس معظم انتاجه الشعري الاخير ، ان لم نقل كله ، للاطفال ، ففي مجال المسرح ألف لهم عام ١٩٧١ مسرحية طويلة بعنوان ــ النهر ــ ، ثم عاد فأصدر لهم عام ١٩٧٣ ست مسرحيات غنائية في كتاب واحد ضم ــ الاطفال يحملون الراية ــ و ــ الشجرة ــ و ــ الاطفال يزورون المعري ــ و ــ الصرصور والنملة ــ و ــ مستشفى الاطفال ــ و ــ الاطفال يبنون مدرسة ــ ، ثم مسرحية ــ المستقبل ــ .

يرى سليمان العيسى أنه ــ كما لاتتفتح أزهار الربيع الا بالشمس والهواء ، كذلك لا يتفتح الاطفال على كل جميل ورائع الا بالموسيقى والحركة والغناء ــ ، ويقول أيضا : ــ دعوا الطفل يغني ، بل غنوا معه ، أيها الكبار ، ان الكلمة الحلوة التي نضعها على شفتيه ، هي أثمن هدية نقدمها له ... لكي يحب الاطفال لغتهم ، لكي يحبوا وطنهم ، لكي يحبوا الناس والزهر ، والربيع ، والحياة ، علموهم الاناشيد الحلوة ، اكتبوا لهم شعرا ... ــ

كتب سليمان العيسى ، بالاضافة الى المسرحيات التي ذكرتها ، طائفة كبيرة من الاناشيد الغنائية ، صدرت تحت عنوان ــ أناشيد للصغار ــ عام ١٩٧٥ ثم ــ غنوا أيها الصغار ــ عام ١٩٧٧ ، كما صدر له في منشورات «مجلتي» ــ القطار الاخضر ــ ، وهو رحلة غنائية شعرية تتألف من واحد وعشرين نشيدا ، يطوف بها على عواصم الوطن العربي كلها، ويرسم فيها للصغار طريق المستقبل العربي. وستصدر جميع أعمال سليمان العيسى الشعرية التي كتبها للاطفال في ثلاثة مجلدات أنيقة الطبع عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في المستقبل القريب . وقد انصرف في الفترة الاخيرة انصرافا كليا الى الكتابة للاطفال ، لانهم في رأيه ــ غد الامة العربية ومستقبلها المشرق فلم لا يتجه اليهم ، ويكتب لاحبائه : ريم ، وتيم ، وديمه ، وطلال قائلا :

ريم ريم مر نسيم
في بستان اللوز
قالت زهرة لوز
اسم الزهر قديم سميناها ريم

ولصديقه الصغير ــ تيم ــ على شاطىء اللاذقية :

صديقي تيم جاء الصيف من بوابة البحر
وهدنا بما في جيبه المثقوب من حر
وغادرت العصافير محابسها
وأعني ــ بيننا ــ أعني مدارسها

ولنسمعه يغني مع الاطفال الصغار في ــ نشيد ماما ــ ألحانا لا أعذب ولا أحلى قائلا :

ماما ماما يا أنغاما
تملأ قلبي بندى الحب
أنت نشيدي عيدك عيدي
بسمة أمي سر وجودي

وفي نشيد ــ فلسطين داري ــ حيث يهتف جميع الصغار بصوت واحد يفيض نبرة وحماسة ، ويتفجر نخوة وحمية :

فلسطين داري ودرب انتصاري
تظل بلادي هوى في فؤادي
ولحنا أبيا على شفتيا
وجوه غريبة بأرضي السليبة
تبيع ثماري وتحتل داري

ـ ١١ ـ

أما الشاعر حامد حسن فقد استطاع من خلال عمله في مجلة ـ أسامة ـ أن ينشر عددا من القصائد التي لم تجمع حتى الان في ديوان ، مثل ـ عربي ـ و ـ بلادنا في الربيع ـ و ـ البندقية ـ وكلها قصائد توجيهية بناءة هادفة ، كما يلاحظ من عناوينها • يقول في قصيدة ـ عربي ـ :

علمتني في الصبا أمي وأوصاني أبي
عش لهذا الشعب عش للعلم عش للادب
كن لسورية للتاريخ كن للعرب

ويقول في قصيدة ـ بلادنا في الربيع ـ التي يصف فيها سورية في فصل الربيع ، وتفتح الزهر ، ورقة النسيم المعطر :

جاء الربيع الناعم ورقت النسائم
والخير في حقولنا مواسم مواسم
والزهر في جناتنا مفتح ونائم

وشارك عيسى فتوح في الكتابة للاطفال ، فنظم بعض القصائد ، لكنه اتجه للقصة مؤلفة ومترجمة ، فنشرت له ثلاثة كتب هي : « عندما جاءت عصافير الدوري » ـ ديوان شعري مصور ، للشاعرة البلغارية ليدا ميليفا ، و ـ مدرسة اللقلق ـ مجموعة قصصية لسبعة من أبرز كتاب قصص الاطفال في روسيا هم : م • بلياتسكوفسكي ، ايرينا زخيلزنوفا ، ألكسي تولستوي ، سيلفي فالجال ، ألكسندر بوشكين ، يوري أفيرنكوف ، فالنتين كاتايف • و ـ دنيا الحكايات ـ للكاتب البلغاري أنجل كاراليتشف ، وستصدر له الوزارة هذا العام مجموعة قصصية بعنوان ـ الفأس الذهبية ـ لطائفة من أشهر الكتاب في روسيا وبلغاريا ورومانيا والصين •

من شعره الذي نشره في مجلة ـ أسامة ـ عام ١٩٧٤ قوله في قصيدة بعنوان ـ قطي ـ :

قطي الساهر في الاسحار
عينا يقظى تحمي داري
دوما يهوى صيد الفار
يسعى قفزا للاوكار
قطي يأبى ذل العار
قطي يهوى أخذ الثار

وهناك شعراء آخرون جربوا أقلامهم في الكتابة للاطفال ، فنظموا قصائد قليلة ، الا أنهم لم ينصرفوا لهم انصرافا كليا أو جزئيا ، باستثناء مصطفى عكرمة الذي كان أكثرهم اهتماما ، فألف مسرحية ـ جند الكرامة ـ و ـ في الطريق ـ • من هؤلاء : سلامة عبيد ، خليل خوري ، محمد الحريري ، أحمد الجندي ، نصوح فاخوري ، بيان الصفدي ، محمود السيد •

أما نصيب أدب الاطفال من القصة فكان أوفر ، اذ أقبل عليها الكتاب والمترجمون اقبالا كبيرا ، وراحوا يتنافسون فيها ، ليسدوا النقص الواسع الذي عانى منه أدبنا العربي عدة قرون ، من الكتاب والمترجمين الذين لم يجمعوا آثارهم في كتب ، بل بقيت موزعة في مجلة ـ أسامة ـ وجريدة ـ تشرين ـ موفق أبو طوق ، أسامة دعبول ، نجاة قصاب حسن ، مراد السباعي ، لينا كيلاني ، رجاء وعبد اللطيف الارناؤوط ، غادة مردم ، ظافر عبد الواحد ، سعد صائب ، محمد أبو خضور ، يوسف حلاق ، دعد حداد ، هالة النابلسي وغيرهم •

---

١ ـ أحمد شوقي للدكتور عمر فروخ ص ٣٥
٢ ـ سليمان العيسى ـ مجلة « الموقف الادبي » السنة الثالثة ـ آذار ١٩٧٤ •
٣ ـ بلغ مجموع ما أنتجته مصر من كتب الاطفال في عشر سنوات ألفي كتاب ، أي بمعدل مئتي كتاب في السنة الواحدة ، وهذا دليل على اهتمامها الزائد بأدب الاطفال •
٤ ـ مجلة « الموقف الادبي » ـ العدد ١١ ـ آذار ١٩٧٤ •

٥ ـ صدرت « أسامة » ـ مجلة الطفل العربي ـ عن وزارة الثقافة في ١ـ٢ـ١٩٦٩ ، ومن أهدافها تنمية وعي الطفل العربي على قيم أمته وتزويده بالثقافة الصحيحة ، وتقديم التسلية المفيدة • وقد دأبت على تقديم موضوعاتها بالفصحى المشكولة غالبا ، حتى يرسخ الصرف الصحيح واللغة الصحيحة في أذهان الاطفال •

الشهيد

خليل خلايلي

توسد الكبر وارتاحت بقاياه ... ورفرفت راية الاوطان ترعاه
وهب ثم نسيم عابق عطر ... كأنه من جنان الخلد مسراه
وأسبلت حزنه تهمي على جدث ... لولاه ما قيمة الاوطان لولاه
روت ثراه بغيث طاب سلسله ... وجرحه بنجيع القلب روّاه
يا طيبها ميتة والخلد يحضنها ... يزدان بالبشر والترحاب مرآه
غدا ترف على الاسماع أغنية ... وللبطولات يوم الفخر أفواه
بالامس كان شموخ العز منتصبا ... واليوم تسمو على الاحجار ذكراه
في كل قلب له ذكرى معطرة ... وفوق ثغر السهي تفتر نجواه
لا يستبين الهدى الا بسيرته ... ولا تكون العلى الا كعلياه
فيا شباب الحمى كونوا له خلفا ... وان سعيتم لمجد ذاك مسعاه
بوابة الخلد رهن كلها لكم ... اذا نحوتم سراعا مثل منحاه

★★★★

يا من رأى الليث مختالا بمشيته ... لما دعاه الحمى ثارت حمياه
وهب من توه يمشي على عجل ... وللمروءات دفق في محياه
فودعته عيون كم تعشقها ... وودعت ديرة الاحباب عيناه
من طفلة عذبة التمنان رائعة ... ومن حبي له في المهد ناغاه
وحرّة عفة الجلباب طاهرة ... تظل ترقب آناً فيه تلقاه
لم يطلع الفجر الا وهو في جبل ... حرمون ذاك وقد لبى وفدّاه
وصاح في عصبة الاشرار صيحته ... وللسلاح زئير تحت يمناه
وداهمته المنايا وهو يحصدها ... بسيفه تارة أو في شظاياه
ما ناء من حملة الانذال كاهله ... لكنه لقضاء الله مجراه
وللشهادة حب في طبائعنا ... عن الابوة في الماضي ورثناه
من يوم ذي قار والتاريخ يرصدها ... لانها وحدها السلطان والجاه
وديدن من قديم الدهر رافقنا ... وفي المهود على مهل رضعناه
نتوق للموت في أعراس أمتنا ... ونحن لا نرتضي في الخطب الاّه
فكم شهيد قضى من أجل عزتنا ... والمجد ينمو وريفا في حناياه

★ ★ ★

فيا وقائعنا عودي لذاكرتي ... سيلا من الوجد يروي كل ظمآه
وذكريني بأبطال جحاجحة ... قد جمعوا من حصاد المجد أسماه

نجوم هدي على الآفاق ساطعة ... لولا سناها حداة الركب قد تاهوا
من كل شهم عريق في أرومته ... له من الحسب المرموق أصفاه
(يجود بالنفس اذ ضن الجبان بها ... والجود بالنفس أقصى ما تمناه)
فمن كحمزة في بدر وصحبته ... على القليب وقد طفت ركاياه
ومن كجعفر الطيار اذ قطعت ... يمناه تسند راي الحق يسراه
أولئك الصيد من قومي فعالهم ... هي الفعال اذا ما اشتدت الآه
(لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات) ولا يرجون جدواه
سيوفهم في جبين الدهر لامعة ... وزادهم لقرى الضيفان أشهاه

* * *

فيا شهيد العلى بوركت من بطل ... تبلى الليالي ولا تبلى سجاياه
كتبت بالاحمر القاني رسالتنا ... سفرا من الحب والاخلاق فحواه
مهرت بالروح أرض العرب مبتهجا ... وكنت شهما فريدا في مزاياه
ما قيمة الروح والاخطار محدقة ... بموطن مثله لم يبدع الله
ما قيمة الروح والتنين ذو صلف ... يصب دوما على الاوطان بلواه
خمس وعشرون مرت في مرارتها ... والذل عار على الايام نأباه
وللعدو اختيال في مرابعنا ... ورأسه مشمخر الانف تياه
له بسيناء تحت الشمس غطرسة ... وفي القناة شموخ كيف نرضاه
يظن في خط (بارليف) حمايته ... طوال الزمان وفي (الفانتوم) منجاه
وفي ذرا جبل الجولان كم رتعت ... قطعانه وهي للذؤبان أشباه
ونحن عرب اباء الضيم عادتنا ... والمجد دون عباد الله نهواه
كتائب الحق من صحرائنا انطلقت ... والحق ما زال في الصحراء مأواه
أنستكين وفينا كل زند فتي ... يضيء من فوهة الرشاش دنياه

* * *

وهبت الريح في تشرين عاصفة ... شرقا وغربا فما عدت ضحاياه
جهنم بعض هذي النار واشتعلت ... على القناة رمال ثم أمواه
اذا (ببارليف) يبكي سوء طالعه ... وسوء ما ضيعت في الرمل كفاه
فمن رأى منكم الغطريس مرتجفا ... والرعب يسري حثيثا في خلاياه

* * *

يا آل يعرب شعري من خصالكم ... قد استعار شريف اللفظ معناه
لا زلتم ظئر أمجاد ومعرفة ... وللحضارة نورا ما أحيلاه
فأنتم زينة الدنيا وبردكم ... اذا لبستم لعرس المجد أغلاه
وان يكون قتال فعلكم ذكر ... في حين كل فعال الناس أنثاه .

دمشق ـ خليل خلايلي



ضرار بن الأزور

تأليف : الاستاذ عبد العزيز الرفاعي
عرض وتحليل : حسان الكاتب

أصدر الاديب السعودي الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي في سلسلته ـ المكتبة الصغيرة ـ الكتاب رقم ـ ١٩ـ وهو بعنوان ـ ضرار بن الازور ٠٠ الشاعر ٠٠ الصحابي ٠٠ الفارس ـ بتاريخ / محرم ١٣٩٧ هـ ـ يناير ـ كانون الثاني ١٩٧٧ م في الرياض وبمطابع الشرق الاوسط وهو من تأليفه ٠٠ ويقع في ـ ٩٥ ـ صفحة من القطع الصغير وقد صممت الغلاف بشكله الجذاب شركة ـ تهامة ـ وكتب العناوين الفنان والخطاط السعودي حمد كليب الحارثي ٠

ويذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أن أصل الموضوع محاضرة كلف بالقائها من قبل سمو الامير فيصل بن فهد في عنيزة وهذه المدينة هي احدى مدن القصيم الكبيرة وقد اعتمد في بحثه ٣٤ مرجعا ٠

وضرار بن الازور من بني أسد وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من القصيم أصلا ٠ أشتهر بفروسيته وبسالته واتصف بالكرم وهو الى جانب ذلك من الشعراء المجيدين ٠

وهذا الكتاب الثاني في سلسلة المكتبة الصغيرة في تعريف شعراء الصحابة ٠

وفيما يلي نقدم نموذجا من شعر ضرور في قبيلته ـ بني أسد ـ :

بني أسد قد ساءني ما صنعتم — وليس لقوم حاربوا الله محرم
وأعلم حقا أنكم قد غويتم — بني أسد، فاستأخروا أوتقدموا
نهيتكم أن تنهبوا أصدقائكم — وقلت لكم: ياآل ثعلبة اعلموا (١)
عصيتم ذوي أحلامكم وأطعتم — ضجيعا وامر ابن اللقيطة اشام (٢)
وقد بعثوا وفدا الى أهل دومة — فقبح من وفد ومن تيم (٣)
ولو سئلت عنا جنوب لخبرت — عشية سالت عقرباء وملهم (٤)

وبما أننا أتينا على ذكر المكتبة الصغيرة لا بد من تعريف القارىء الكريم على هذا المشروع الثقافي القيم وعلى صاحبه الكريم ٠

فالمكتبة الصغيرة تهدف الى تيسير المعرفة ، في عرض

موجز يكفل الافادة والتنوع ، ولا يورث الملل ، وهي الى ذلك أقرب ما تكون الى روح العصر العجل السريع ۰

كتيباتها صغيرة ، زهيدة الثمن ، ميسرة الاسلوب ۰ روعي في اعدادها أن تكون صالحة لمختلف الاجيال ، ومختلف المستويات الثقافية ۰

وقد بدأت هذه السلسلة بتقديم بحث عن توثيق الارتباط بالتراث العربي ، تلاه بحث تاريخي جغرافي عن جبل طارق وعلاقته بالعرب، ثم قدمت المكتبة الحلقة الثالثة وهي سطور من أدب الرحلات ۰

وكانت الحلقة الرابعة دراسة عن الصحابي الشاعر الاديب ـ كعب بن مالك ـ ۰

أما الحلقة الخامسة فهي رسالة عن البطل المسلم : ـ أبو محمد البطال ـ والحلقة السادسة دراسة عن أم عمارة الصحابية الباسلة وكتب الحلقة السابعة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن ـ أبو دلف ـ « عبقري من ينبع » ۰

وجاءت الحلقة الثامنة اضمامة من الشعر الرقيق للشاعر الاستاذ مقبل العيسى ۰

أما الحلقة التاسعة فكتيب ـ من عبد الحميد الكاتب الى الكتاب والموظفين ـ من أعداد صاحب المكتبة الصغيرة ـ الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ۰

أما الكتيب العاشر فقصة شعرية رائعة للشاعر الكبير الاستاذ أحمد قنديل والكتيب الحادي عشر بعنوان ـ كرائم النساء ـ للاستاذ الكبير أحمد محمد جمال عضو مجلس الشورى وأستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز۰

أما الحلقة ـ ١٢ ـ فهي بعنوان ـ الغزو الفكري ـ للاستاذ الكبير عبد الله عبد الجبار ۰

وفي الكتيب ـ ١٤ ـ شعر للاستاذ محمد عبد القادر فقيه مدير المطبوعات بمكة المكرمة وعنوان الديـوان الشعري ـ أطياف من الماضي ـ ۰

والحلقة ـ ١٥ ـ بعنوان ـ من أجل الشباب ـ وهي من تأليف الاستاذ الكبير أحمد محمد جمال أيضا ۰

وفي الحلقة ـ ١٦ ـ يقدم لنا صاحب المكتبة الصغيرة الاستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعي بحثا قيما ـ بعنوان ـ الحج في الادب العربي ۰

وفي الكتيب ـ ١٧ ـ يقدم لنا الاديب الكبير الاستاذ العوضي الوكيل بعنوان ـ من أمهات الكتب العربية ـ ۰

وبعد أن تحدثنا عن المكتبة الصغيرة لا بد أن نتحدث عن صاحب هذا المشروع الثقافي القيم ۰

فالاستاذ الرفاعي أديب وشاعر ولد في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٩٤٢ ـ هجرية في قرية ـ املج ـ ونشأ وترعرع في مكة وتعلم في مدارسها فنال الشهادة الابتدائية ثم شهادة المعهد العلمي السعودي ولم يواصل التحصيل العلمي المدرسي۰ ★

ولكنه دأب على تثقيب نفسه بنفسه فبلغ من العلم والثقافة منزلة رفيعة وعمل في المناصب الحكومية منـذ تخرجه ، وهو اليوم يعمل في مكتب رئاسة مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية ۰

كتب العديد من المقالات في الصحف والمجلات السعودية وقدم أحاديث للاذاعة السعودية كانت موضع التقدير من سامعيها في داخل البلاد وخارجها ۰

ومثل بلاده في المؤتمرات الادبية في كل من الكويت والعراق ولبنان وتونس والجزائر وكان في هذه المؤتمرات محط أنظار اخوانه الادباء لما يتمتع به من ألمعية وهو يتمتع بمركز أدبي مرموق في السعودية كما أن مشروعه الثقافي سابق الذكر يحتل مكانا لائقا لدى مثقفي السعودية ۰

حسان بدر الدين الكاتب

---

١ ـ آل ثعلبة : ثعلبة الحلاف بن دودان بن أسد ۰

٢ ـ ضجيع : هو طليحة بن خويلد : وكان ارتـد وادعى النبوة ثم أسلم وحسن اسلامه ۰

وابن اللقيطة : هو عيين بن حصن ـ خزانة الادب ص / ٢٩١ / ج ٢ ـ ۰

٣ ـ المراد بدومة : دومة الجندل ـ المرجع السابق ـ

٤ ـ في خزانة الادب سألت مكان سئلت ، وعقرباء وملهم موضعان بنجد يحتفظان باسميهما حتى الان : وفي معجم البلدان أورد من هذه الابيات خمسة هذا أولها ۰

★ عن دراسة بقلم الاديب الكبير الاستاذ روكس العزيزي رئيس رابطة الكتاب الاردنيين في مجلة التمدن الاسلامي المجلد / ٤٢ / ـ ١٩٧٥ ميلادية صفحة ـ٧٦٢ـ وما بعدها ۰ بعنوان الاستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي۰

فلسطين في شعر الامارات

نديم مرعشلي

في الزاوية القصوى من الشرق الاقصى في دنيا العروبة .. وبالتحديد في خليجها الثائر تجاوبا مع محيطها الهادر ، من ديار أبو ظبي البلد الناهض في أعماق الصحراء ليعيش بالطفرة حضارة القرن العشرين، كان لقائي مع الاديب السوري ، ابن مدينة سيف الدولة حلب الشهباء .. واصف باقي الذي عمل وما يزال وبكل ما وسعه العمل تحت راية القلم يهب الكلمة النيرة جهد طاقته ، منتقلا من رسالة تدريس العربية ، رسالة الكلمة الواعية المنطوقة التي تستقطر أكسير المعرفة لتشع في النفوس اللدنة نورا يهدي الى السبيل الحق ، ليدخل عالم الكلمة المكتوبة محترفا بعد أن عاشها هاويا .. فأضحى محررا في مجلة درع الوطن يترك فيها بصمة هنا ، وثانية هناك على مشرق صفحاتها دائب الحركة جم النشاط واذا ما عاد الى ذاته لا لينطوي على نفسه وانما ليحيا سيرة القلم بشكل آخر ، باحثا منقبا ، مسامرا الحرف ، في نجوى علوية الايحاء ، ثرة العطاء .

وبجلسة هادئة معه ، في بيته المنزوي في طرف المدينة دفع لي بيد مترددة كأنها تنقبض بما تبسط ، وتضن وهي تجود ، بسفر هزيل المادة الورقية ، لا يكاد يعدو المئة صفحة عدا ، لكنه على ضآلة الكم ، غزير الكيف ، هو والحق ، من كنوز ه الغالية ، بل من كنوز تراث أدبنا المعاصر .

كلمة هامشية

ودعت الاديب الكاتب المناقش المتوفز حياة ونشاطا لاعايشه في أسمى حالات تحقيق وجوده ، حرفا مسفوحا على الورق بل أحيا حقيقة حية من تاريخ أمتي ، في استعراض سريع يأخذ مساره ايغالا بالزمن من أول احتكاك للعربي المندفع في جحافل الفتح اصطداما بعنصرية ذلك اليهودي ابن حصون خيبر الذي تمزقته أصقاع الارض وأطراف المعمورة منكمشا على ذاته أينما حل يعيش هاجس العودة الى أرض الميعاد ، حتى اذا ما واتته الفرصة اهتبلها ذهبية لينسل تسللا الى فلسطين الحبيبة ، تحميه الحراب البريطانية ، ولينغرس أخيرا شجرة شوك وقتاد في القدس الشريف ، تحرق ما تحرق من عرين العروبة الذي تحف به أمواج المحيط غربا وتفديه مياه الخليج شرقا ولكن

ليس بدعا أن يستبد فصل ... ويدوس الثرى الحرام اباحي

قد تحيك الاقدار من لبدة الليث ... وشاحا للغانيات الملاح

في رحاب الكتاب

وصافحت نظراتي حروف الاديب المؤلف في رحلته تلك، وببعديها التاريخي والجغرافي من عبارة الاهداء الدافئة التي تكثف تاريخه الذاتي في تفيؤ دوحة ماضيه المتمثل بالوفاء لابويه ورعاية لمستقبله المبرعم بسمة براءة في ثغر

طفله ، مرورا بالعروة الوثقى آصرة ذلك الماضي المتعاطف مع المستقبل رفيقة العمر والكفاح الزوج الوفية ٠

يقول الكاتب واصف باقي ـ وعاودت رحلتي مع الكلمة التي مارستها سنين طويلة ، أبحث عن عطاء أصيل، مثمر بناء ٠٠٠ لاثبت أنه لا انفصام في شخصية أدبنا العربي قديمه وحديثه ـ ثم يخلص الكاتب الى استعراض القضية الفلسطينية بشكل منهجي منتقلا خطفا في ميدان السياسة الى حومة الوغى بلوغا الى الهدف : الوقوف وجها لوجه مع فرسا نالكلمة من أبناء دولة الامارات ، يغذينا روحيا من نسغ بيانهم ممهدا لذاك البيان بعبارات هي نبضات قلب ، وجمل هي توهج روح ، حتى لكأن شعر الشعراء وترجمة الكاتب المؤلف سدى في لحمة بل مسرى الكهرباء في الاداة النورانية تلك المشكاة الروحية ، وناهيك من عناء ذلك العمل الادبي على النتاج الفكري ٠

القضية واحدة ٠٠ والبيان عنها مختلف

كان للعروبة منارها في العصر الحديث على لسان حافظ ابراهيم القائل :

اذا ألمت بوادي النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان شكافي ثرى الاهرام ذو ألم
أجابه في ذرى لبنان منتحب

وكان للارض قدسيتها التي ما بعدها قدسية ممثلة بقول شوقي منشد الاندلسية :

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني اليه في الخلد نفسي

وليس غريبا والامر كذلك أن يعتبر كل عربي ، فلسطين وطنه عليه الكفاح في سبيل تربتها الطهور ، وبخاصة حملة الاقلام الذين هم منارات الجهاد ، يدلون على سبيله ان لم يسلكوه بأنفسهم وكماجتمعت عدة الحرب والقتال ، ومادة الحرف والمقال في جوانح قادة ميامين قدماء ومعاصرين ٠

فالكل ينشد رفعة العروبة وعزتها ، تفيئوا تحت راية القلم والكل يكافح بشبا تلك الالة التي ليست أقل فاعلية من البندقية ، بل هي أداة من أدوات الحشد وراءها، فاللغة واحدة والشعور واحد ولا اختلاف بين عربي وآخر حول قضية التحرير اذن ما الفارق بين هؤلاء الشعراء ما داموا يغرفون من نبع واحد ويرمون كذلك لهدف واحد ؟ الفارق هو العامل الذاتي وما عانى الشاعر من تجارب واتسم به من طاقة شعرية وقدرة على تجنيح الكلمة وتجسيد المثل الاعلى وبالتالي التفاوت الثقافي وما ينطوي عليه هذا العامل من أبعاد ، لذا كون شعراء الارض المحتلة مدرسة شعرية متميزة في أدبنا الحديث كان من رجع صداها ما نقرأ ونسمع من شعر يمثل القضية العربية التي هي موضوع الساعة ٠

هيهات لمقدمة أن تغني عن كتاب

وبعد ٠٠ أين نحن من الموضوع ، وما بذله فيه المؤلف من جهد ، وسبر من أغوار ، وهو يجمع وينسق ، يعلل ويحلل ٠٠ ولقد اغترفنا غيضا من فيض ورسمنا ظلا لشجرة في زحمة الدوح من مترامي أطراف الغابة ، وزمالة القلم ما كانت لتعرف يوما الاثرة وانما سجيتها الايثار وان كان في النفس منزع للقول الكثير في هؤلاء الاخوان الذين عرفتهم واستجليت ملامحهم عبر شفافية الحرف ممن ذكرتهم أو لم أذكر هيهات لمقدمة أن تغني عن كتاب ٠٠

وفلسطين الحبيبة على طول ما عانت من قسوة ما تكابد ، حسبي من قول فيها ، والاسناد فيه منطق التاريخ المتجسد طاقة في زنود الاحرار من قبضات الثوار ، نعم حسبي من قول فيها تلك التسبيحة المؤمنة التي انسربت في سويداء كل ناطق بالضاد ، قرأها أم لم يقرأها ، متسللة وراء السجن الكبير ، مسلسلة بلغة البدهيات على لسان أحد عمالقة الكلمة في الديار المغتصبة ، سميح القاسم الذي دأب وما يزال ينشره كبده كلمات في صفحات :

« مثلما يحمل تلميذ حقيبه

مثلما تعرف صحراء خصوبه

هكذا تنبض في قلبي العروبه »

انها عروبة الدم وعروبة الارض ٠٠ فتحية يافرسان الكلمة من أبناء الخليج ، وشكرا أيها المؤلف الصديق لما كابدت في تصنيف هذه الاضاميم بلغة كان فيها النثر صنو الشعر ٠

نديم مرعشلي

دمشق



المملكة العربية السعودية

ابراهيم حريب

التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ليس من شك في أن العامل الاقتصادي له أثره البالغ في حياة الانسان وفي حياة الامم والشعوب والحركة الادبية والثقافية هي واحدة من جوانب حياة الناس ، وانها تتأثر بعمق ، حركة وجمودا ، بالعوامل الاقتصادية المتحركة والمتطورة أو الضيقة الجامدة ، مثلما تتأثر بها الحالة الاجتماعية ، ولذلك سارت التنمية الاقتصادية الى جانب التنمية الاجتماعية بكافة أبعادها في كل مجتمعات العالم الثالث التي تريد أن تبني وتنهض وتقوّم الاعوجاجات التي أحدثتها عوامل ذاتية وأخرى خارجية ٠

كانت الحركة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية ترتكز على التجارة وحدها في سوق محلية تستورد كل سلعها ، والمجتمع فيها مستهلك غير منتج ، صناعيا أو زراعيا ، فالاراضي القابلة للانبات قليلة ومتناثرة تفصل بينها مساحات واسطة ، والمياه ضحلة في مكان ، نادرة في أمكنة أخرى ، والعمل الزراعي في هذا القليل يستند الى عمليات بدائية ، لا تعطي الانتاج الكافي للغذاء وحده ٠

وكانت موارد الدولة ضئيلة ومحدودة ، روافدها تأتي من رسوم الحج ومن المكوس ـ الجمارك ـ ومن الزكاة ٠ وما كانت ترد أية معونة من الخارج ، فالعلاقات الدولية كان ميدانها تبادل النفع في الحالات الحسنة ، هي الظاهرة البارزة بين الدول ، والمملكة العربية السعودية ، ما كان في قدرتها أن تقدم شيئا من النفع آنذاك ، وسياستها العامة لم تكن منطوية على ايجاد علاقات دولية مشبوهة بين قوي وضعيف ، قد تؤدي الى حالة من الاستعمار والاستغلال ترفضها شكلا وموضوعا ٠

شعب ودولة ، هذا شأنهما ، ليس بوسعهما أن يحددا معالم تنمية اقتصادية بشكل واسع ، الا بمقدار ما تفرضه مواردهما الذاتية ٠

لقد رأينا في مقال سابق أن المهمة الصعبة التي كانت تنتظر حكومة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وتنعظر الحل الحاسم السريع ، هي تلاحم مجتمع مزقته حروب وفتتته صراعات ، وكانت القبيلة لحمته وسداه ، ورأينا أيضا أن النجاح كان حليف الارادة الخلاقة ، فقضي على تلك الرواسب ، وبدأ المجتمع يتلاحم رويدا رويدا ٠

تلك كانت مهمة صعبة وملحة ، ولكن ثمة مهمات لا تقل عنها صعوبة والحاحا ، فالجهل يسود والمرض يتفشى ، وهما ينهشان العقول والقلوب والاجسام ، ويدفعان بالمسؤولين الى الحيرة والضيق والحرج ٠

وتدفق البترول ، وكانت في البداية موارده ضئيلة ، لا تستطيع النهوض بالاعباء الثقيلة والمتعددة ، وكانت بداية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في زمن محدد ، غير مرتكزة على أسس علمية مدروسة •

الا أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية سلكت مسارها العلمي المدروس في كل أبعاده ، عندما تسلم الملك فيصل عرش المملكة ، فلجلالته تطلعات جديدة وحضارية، اكتسبها من وضعه السابق ، بحكم المناصب التي تولاها ، كوزير للخارجية حينا ، ومندوب للمملكة في المحافل الدولية أحيانا أخرى ، فقد اطلع على الافكار العلمية الحديثة ، وأدرك معالم النهضة العصرية الشاملة ، صناعيا وزراعيا واجتماعيا ، ووعى واقع المجتمع في المملكة وحاجاته الى التطور السريع المتزن ، فالفارق الحضاري بين مجتمعه والمجتمعات الغربية واسع جدا ، والقفزات السريعة قد تحطم كل شيء ، كالكأس الروية ، اذا تحطمت، فانها تذهب ما فيها أيضا • وان أية تنمية لا تأخذ عقل الانسان ونفسيته في حسابها ، فانها لا تنتج ثمرتها المأمولة ، ذلك لان عقل الانسان هو الذي صنع الحضارة ، والحضارة هي صقلت وتصقل عقل الانسان ، فالعقل والحضارة يتقدمان أو يتخلفان بمقدار تفاعلهما وتلاحمهما أو عدمهما •

وهنا بدأت الرؤية واضحة لاهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بعد أن ارتفعت موارد الدولة ، وبعد أن أخذت الدولة مكانها الفاعل المؤثر في حياة الناس وفي سياسات الدول الاخرى في المنطقة وفي العالم ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا •

ومن هذه التنمية بدأ التأثير في الحياة الاجتماعية داخل المملكة العربية السعودية بمختلف جوانبها ، ليترك بصماته الواضحة في الحركة الادبية والفكرية •

ولعلنا نستطيع أن نعطي لمحات عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة ، ومدى تأثيرها في الحركة الفكرية •

واننا في هذه اللمحات لا نعتمد الارقام ، فهي قابلة للتحول والتبدل وخاضعة لظروف المد والجزر في التنمية نفسها ، لكن الامر الذي نهتم به في هذا الموضوع هو تحديد مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ومدى التصاقهما في حياة الانسان وقدرتهما على تحليل مشاكله ومعالجتها ، والنتائج التي أسفرتا عنها •

ـ ٢ ـ

في البدء نرى أن التنمية الاقتصادية قادرة على نقل الانسان من حياة البداوة بكل أثقالها ، الى حياة المدينة والاستقرار فيها ، وذلك ببناء مدن تتوفر فيها كل الشروط الصحية والحياتية ، وهي قادرة أيضا على بناء المصانع والمعامل ، تنتج ما يغطي حاجات الانسان ومتطلباته الاستهلاكية ، وقادرة كذلك على تطوير الزراعة واستخراج المياه من جوف الارض، والاخذ بالاساليب العلمية الحديثة، ليكون الانتاج غزيرا يسد حاجة الناس من المواد الغذائية ، لتستمر حياتهم •

التنمية الاقتصادية قادرة على هذا وأكثر من هذا ، ولكن الاهم من ذلك هو قدرتها على التلاحم مع التنمية الاجتماعية ، وقدرتهما معا على تطوير عقل الانسان وتبديل نفسيته ، وتحديد مدى استيعابه للحضارة والفكر الحضاري وتفاعله معها وانمائها بعطاء جديد مستمد من شخصيته ، كما أغناها من ذي قبل ، ومدى تأثيرهما على الحركة الادبية والفكرية، ليس في المجال المحدد لهما مكانيا، وانما تتعداهما الى التفاعل مع المجتمعات العربية الاخرى ، ذلك لانها سوف لا تعطي ثمرتها ، اذا لم يتم هذا التفاعل بشكل مباشر أو غير مباشر •

وتبقى الامم المتخلفة بحاجة الى استراتيجية للتنمية جديدة ، تأخذ في حسابها ، الى جانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، تنمية ثقافية قادرة على استيعاب الفكر الحضاري المتعدد الجوانب بما يتلائم مع أوضاعها الاجتماعية والسياسية ونظراتها الى المستقبل •

ونحن بحاجة الى بحث التنمية الثقافية في المملكة العربية السعودية ، أكثر من حاجتنا الى بحث الاقتصادية والاجتماعية ، لعلاقتها بالحركة الادبية أولا ، ولارتباط جوانب التنمية الثلاثة ارتباطا وثيقا ثانيا •

ـ ٣ ـ

لئن كانت موارد البترول في المملكة العربية السعودية لا تنضب في المستقبل المرئي ، وهو مصدر أولي للطاقة في العالم ، فهي سوف تقل من جهة ، وتزداد الحاجة للانفاق في المستقبل من جهة ثانية ، ومن هذه الحالة برزت الحاجة الى تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، ومنها أرست الخطة الخمسية الثانية (١٩٧٥ ـ ١٩٨٠) قواعدها لتأمين موارد ثابتة من مصدرين :

١ ـ تطوير اقتصاد البلاد ووضع قواعد ثابتة للايراد والانفاق ضمن السياسة العامة ٠

٢ ـ تطوير الزراعة ضمن الامكانات المتوفرة ، والاخذ بسياسة التصنيع ٠ ليحققا موارد ثابتة للافراد تنعكس على الدولة والمجتمع ٠

ـ ٤ ـ

لقد ظلت مشاكل المجتمع هي الهدف الرئيسي للتنمية الاجتماعية ، وهي كثيرة تحتاج للدرس ، وتنتظر الحلول ، بغية خلق مجتمع متوازن في موارده وعطائه وانتاجه وفي تفكيره واتجاهاته الدينية والقومية والتربوية ، بعيدا عن الصراع الطبقي ٠ ويظهر هذا جليا من الارقام التي وردت في الخطة الخمسية الثانية والدراسات المستفيضة حولها ٠

وثمة ظاهرتان بارزتان فيهذا الموضوع، وقد تبدوان متناقضتين ، ولكنهما ظاهرة وحل :

١ ـ ظاهرة التسول ، وهي بارزة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهي وافدة مع الحجيج فيكل عام ،وبعضها محلي ، فالمحلية تعالج بايجاد العمل للقادر عليه وبايواء العجزة في مراكز الرعاية ٠ أما الوافدة فمعالجتها تمت بترحيلها الى البلاد التي وفدت منها ٠

٢ ـ أما الثانية ، ونراها حلا لمشاكل أخرى ، فهي الضمان الاجتماعي الذي تناول الحالات التالية :

آ ـ تنظيم اليد العاملة ، وافدة كانت أو محلية ، وتهيئة الكوادر الفنية في مراكز التدريب المهني والفني ٠

ب ـ القضاء على البطالة بايجاد عمل للقادرين عليه٠

ج ـ رعاية الايتام واللقطاء والعجزة وتعليمهم وتدريبهم مهنيا بحسب طاقاتهم العقلية والجسمية ٠

د ـ تخصيص معاشات ثابتة للامهات اللائي لا عائل لهن وتعويض لهن عن أبنائهن الذين لا يعملون وسنهم دون الحادية والعشرين ٠

هـ ـ تخصيص معاشات تقاعدية في حالات العجز والوفاة والشيخوخة ٠

و ـ تأمين الضمان الصحي بتأسيس عيادات ومشافي ومستشفيات عامة ومتخصصة ٠

وغير ذلك من الشؤون ، وتتولى ذلك كله وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي ضمنت لها موارد ثابتة من غير ميزانية الدولة ، ومصدر هذه الاموال يأتي بالدرجة الاولى من الزكاة ومن مساهمة ميزانية الدولة ، ومن الاعانات والهبات ، ومن عائد الاموال الحاصل من تشغيلها في أعمال وصناعات انتاجية ٠

هذه اللمحة العابرة عن وضع التنمية الاجتماعية وما تعمل لتحقيقه من رعاية أفراد المجتمع ، يمكن لها أن تعطي فكرة واضحة عن الارادة الهادفة لتكوين المجتمع البعيد عن العوز والحاجة ، استقيناها من ملاحظات عابرة أثناء زيارتنا للمملكة العربية السعودية ومن مناهج الخطة الخمسية الثانية ٠

ـ ٥ ـ

ان أهم ما نركز عليه في هذا البحث ، هو التنمية الثقافية التي أعدت الدولة لها عدتها ، وأخذت بأسبابها ، متخطية بذلك الاستراتيجية العامة التي وضعتها بعضالدول لتحديد العمل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وحدهما ٠

وهذه الاستراتيجية منطلقة من واقع المجتمع في العربية السعودية وحاجاته ، ومن رؤية المشرفين على تنفيذ الخطة ، وهي رؤية واضحة ، فتلازم خطط التنمية الثلاثة وسيرها في خطوط متوازية أعطى آثاره على الحركة الفكرية بشكل خاص ، مما سنوضحه في مقالات تالية :

كان التعليم في المملكة العربية السعودية ، يتم في نطاقين اثنين : أولهما المساجد والكتاتيب ،وثانيهما مدارس ذات مناهج تقليدية ، وفي هذين النطاقين كانت المناهج تختط وترتكز على الفقه وأصول الدين وما هو في حكمهما وعلى شيء من التاريخ ، والحساب ، بسبب التكوين العقلي للمجتمع آنذاك ، وبسبب السياسة التعليمية التي انتهجها العثمانيون في كل البلاد التي سيطروا عليها ، وهي سياسة ترمي الى سيطرة الجهل والفقر لاحكام سيطرتهم هم ٠

وعندما أريد تطوير التعليم وتعميمه بالاخذ بمناهج عصرية تضع بحسابها تعليم العلوم الحديثة ، قامت صراعات حادة وصعوبات جمة ،فثمة عقليتان ، واحدة تريد الجمود ، وهي بطبيعة تكوينها العقلي والنفسي ترى أن العلوم العصرية كالرياضيات والجغرافية وما هو في حكمها خروج عن الدين ، والثانية متفتحة على واقع المجتمع المزري ، تريد له العلم والمعرفة لينفتح على الحضارة الحديثة ويأخذ منها نصيبا يتلائم وعقليته ونفسيته ٠

وقامت ضجة صاخبة ، أثارها بعض من شيوخ الدين حول برامج التعليم وأذكر في هذا المجال كلمة قرأتها للشيخ حافظ وهبة في كتابه القيم (شبه جزيرة العرب في القرن العشرين) تبين المعاناة التي لقيها هو والمشرفون على شؤون التعليم في بدايته ٠ قال :

(ان شبه الجزيرة العربية ، اذا استثنينا بعض بيوت علماء نجد والاحساء ، كانت خلوا من المدارس

فالاتراك لم يتركوا أثرا يذكر الا مدرسة في الاحساء وأخرى في الحجاز تأسستا بعد اعلان الدستور ، وفي عام ١٩٢٧ قامت ضجة علماء الدين عندما أريد تعميم التعليم فقد اجتمعوا في مكة واتخذوا قرارا يحتجون فيه على ادارة المعارف لانها قررت في برامج التعليم تدريس مادة الرسم واللغات الاجنبية والجغرافية .

ولقيهم الشيخ حافظ وهبة بأمر من جلالة الملك عبد العزيز ، فكانت حجتهم أن الرسم هو التصوير ، وأن التصوير محرم قطعا . أما اللغة الاجنبية ، فانها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من خطر على عقائدنا وأخلاق أبنائنا . أما الجغرافية ففيها كروية الارض ودورانها والكلام عن النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأنكره علماء السلف) .

ولم تنفع معهم حجة الشيخ وهبة ، ولا حججهم معه ، ولكن الشيوخ أعلموه ب (لقد قررنا ورفعنا الامر الى الامام عبد العزيز ، فان قبل الامام رأينا فالحمد لله ، وان خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها) .

هذه صورة حية عن واقع كان قائما ، ومما لقيه التعليم في بداياته ، ولكنها غرسة امتدت جذورها في الارض ، وبسقت فروعها ، برغم العواصف الهوج التي هبت من كل جهة في محاولة لاقتلاعها ، وظللت أفنائها الباسقة كل الناس ، وأينعت ما ينفعهم .

وكانت مواجهة أخرى أشد عسرا ، وقفت تذر قرنها أمام التنمية الثقافية ، واذا شئت قولا آخر ، فهي مواجهة أمام مسيرة التعليم كله .

فثمة ثلاثة اتجاهات تربوية وتعليمية ، وقفت أمام المشرفين ، ويبدو الاختيار صعبا ، بنفس صعوبة التوفيق بينهـا .

فالاتجاه الاول في التربية ، كان تقليديا ، وقد أتى عن طريق الكتاتيب والدراسة في المساجد ، وهو يقتصر على علوم الشريعة واللغة ، وهو ما تتمسك به فئة من شيوخ الدين الذين رأينا نموذجا منهم .

والاتجاه الثاني اسلامي بحت ، لكنه لا يقتصر على علوم الشريعة واللغة وحدهما ، وانما ينصرف الى علوم عصرية ، لا يرون فيا مساسا بالدين وبالعبادات .

أما الاتجاه الثالث ، فهو التعليم العصري والاخذ بنظريات التربية الحديثة ، وعلى أن تكون علوم الشريعة أساسية في البرامج التي تنطوي على العلوم الانسانية العامة ، بنفس الاسلوب الذي انتهجته دول عربية أخرى ، وهو أسلوب ترك المستشارون الغربيون بصماتهم عليه ، ووجهوه الى اتجاه ثقافي غربي .

وكان الاختيار عسيرا جدا ، فان اتبع الاتجاه الاول ، بقي المجتمع مظلما ، لا يتأثر بما حوله ولا يؤثر فيه ، واذا ما سلك المنهج الثاني ، فان نافذة صغيرة تفتح على العالم من حوله ، أما الاتجاه الثالث ، ففيه انحراف كلي بالمجتمع ، واجتثاث لجذور الدينية والتاريخية والقومية أو تشويه لها .

وكان التصور الاكثر سلامة ، هو أن يكون التعليم في مراحله الثلاثة ، الابتدائية والاعدادية والثانوية ، آخذا بالاساليب التربوية الحديثة ومتناولا العلوم العصرية كافة ، مع التقيد بالتربية الاسلامية الصحيحة تقيدا واعيا .

أما التعليم في المعاهد والجامعات ، فكان التخصص سبيله الواضح ، فثمة معاهد علمية وأخرى فنية ، وغيرها دينية . تدرس علوم الشريعة الاسلامية المختلفة مع العلوم الانسانية الاخرى .

ولنأخذ المثل من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ففيها كليات أصول الدين ، الشريعة ، والدعوة وأصول الدين ، ويتبعها داران للحديث ، واحدة في المدينة وثانية في مكة ، وثمة معاهد متوسطة تؤهل الطالب للدخول الى المعاهد الثانوية ، وهي تؤهله للدخول الى كليات الجامعة متخصصا بالعلم الذي يرغب ، والى جانب ذلك شعبة لتعليم اللغة العربية لغير العرب . وأخذت لها الجامعة مدى آخر لنشر الثقافة بمختلف جوانبها ، فأنشأت مكتبة لكل كلية مع مكتبة عامة ، وأخذت على عاتقها الدراسات الاسلامية المختلفة لاعدادها واصدارها في كتب وتوزيعها على نطاق واسع ، ليس في المملكة وحدها ، وانما في العالمين العربي والاسلامي .

والمثل الثاني نأخذه من جامعة البترول في الظهران :

أما الجامعات الاخرى غير المتخصصة التي تضم كليات للعلوم التطبيقية والانسانية والنظرية ، وهي جامعات الرياض ، الملك عبد العزيز في مكة ، الامام محمد آل السعود في الرياض والملك فيصل في الدمام ، ونراها موزعة في أنحاء المملكة ، ويأتي هذا التوزيع تسهيلا لانتساب الطلاب اليها .

★ ★ ★

هذه ملامح عن تلازم خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية ، وهي مؤشرات هامة للنهضة التي تشهدها في مختلف المجالات ، وليس من شك في هذه كلها قد أثرت تأثيرا بالغا في الحركة الادبية والثقافية ، وتحديد معالمها الهامة وتوجيه مسارها في طريق النمو ، لتتفاعل مع الحركات الفكرية في الوطن العربي ومع الحركات الثقافية المعاصرة ، وسنرى تلك الاثار في دراسات مقبلة .

ابراهيم حريب

حـوار حـول

التراث والمعاصرة

سمر روحي الفيصل

في البداية ، ينبغي أن يكون واضحا أن مسألة التراث والمعاصرة هي قضية وليست أزمة تحتاج الى جدل وحوار ومناقشة ٠ هي قضية لان التراث جزء من وجداننا الجمعي ، ولانه تعبير عن حياتنا الحاضرة ، ومستقبلنا الذي نرنو اليه ٠ وبتعبير آخر فان التراث هو طريقة التعامل مع الفكر العربي ، بل هو الفكر نفسه ، هو الحضارة العربية ذاتها ٠ اذا وجدنا الخيط الذي يصلنا بذلك الماضي البعيد والقريب ، فاننا واجدون حتما تلك الارضية التي نقف عليها ،وتلك التي نريد الوصول اليها٠

اننا كما قال الدكتور شكري فيصل « لا نريد التراث لا مشغلة عن الحاضر ولا ملهاة عنه ٠٠ ولكننا نريده فهما لجذور هذا الحاضر ، وتغذية له قدر ما تكون التغذية مفيدة ، ونريده نفيا للشبهات التي تحتاط به ، وبناء لا تأكيدا لهذه الشبهات ٠٠٠ كما نريده معاونة على رسم المستقبل ، نرسمه نحن ولا يرسم لنا ، ونحمي براعمه قبل أن تقتل هذه البراعم رياح جليدية أو رياح حارة من هنا وهناك ٠ ان اهتمامنا بالتراث ليس زينة من الزينة ، ولا زخرفا من الزخرف ، ولكنه وجود من الوجود ، ونقاط خلفية للوجود المتقدم »(١) ٠

تلك القضية شغلتني زمنا دون أن أكتب عنها ، وما كان سكوتي غير تعبير عن أنني لم أبلغ المكانة التي تؤهلني للخوض في هذه الطريق ٠ لقد عالجت بعض شؤون التراث قراءة وتحقيقا ونشرا ، ولكن هذه القضية لم تنجل لي عن الوجه الامثل حتى الان ٠ ومن المصادفات أنني أكتب النشاط الثقافي في سورية لمجلة ـ أفكار ـ الاردنية ٠ وقد وجدتني مدفوعا للحديث عن التراث في سورية ، ووجدتني أضع في مخطط البحث عنوانا صغيرا هو «التراث والمعاصرة» مما جرني مرة أخرى الى الطريق التي تنكبت عنها طواعية ٠

كانت الرغبة أن أحدث قراء مجلة ـ أفكار ـ عن آراء التراثيين السوريين في هذه القضية ، وقد وجدت من واجبي الادبي أن أستطلع آراء العاملين في هذا الحقل لاستطيع تقديم معلومات دقيقة تفي بالغرض المطلوب ، ولقد اعترضتني عقبات أهمها أن الحديث عن التراث ممتع ، وأن متعته قد تفوت عليّ الغرض من الاستطلاع ، ولهذا عمدت الى وضع أسئلة ثلاثة توجهت بها الى أكبر عدد ممكن من العاملين في حقل التراث قراءة وتحقيقا ونشرا ٠ ويؤسفني القول ان المبادرة للاجابة عن الاسئلة كانت قليلة حينا ، ومبتسرة في أحايين أخرى ، مما دفعني الى اختيار ثلاث اجابات بارزة اعتمدت عليها في كتابة حديثي لمجلة ـ أفكار ـ ٠

ثم انني وجدت الامانة العلمية تدفعني الى نشر هذه الاراء كاملة بين الناس ، لما فيها من نظرات سديدة ، واقتراحات جليلة ٠ ولقد يكون حسنا القول ان المشتركين في الاجابة عن الاسئلة هم : الدكتور محمد خير حلواني ، عميد كلية الاداب بجامعة تشرين ، والاستاذ غازي طليمات، مدرس الادب العربي في محافظة حمص ، والاستاذة هيفاء كالو ، مدرسة الادب العربي في حمص ٠ ولكل من هؤلاء مشاركة ايجابية في التراث العربي ، نذكر منها كتاب ـ مسائل خلافية في النحو ـ للعكبري من تحقيق الدكتور الحلواني ، وكتاب ـ تحرير ألفاظ التنبيه ـ للنووي ، وهو معجم فقهي لغوي من تحقيق الاستاذة هيفاء كالو ٠ ومن الواجب التذكير بأن الاسئلة التالية ، التي طرحت على المشتركين وأجابوا عنها في هذا العدد ، ما برحت تحتاج الى اجابات أخرى يشترك فيها العاملون في التراث العربي ، والمهتمون بأمره ٠

الاسئلة :

١ ـ الطريقة السلفية في فهم التراث ومعالجته ، وفي فهم العلاقة بينه وبين واقعنا الاجتماعي الحاضر ٠
ما صدى هذه المقولة عندك ؟

٢ ـ هل التراث قضية الماضي لذاته ، أو اسقاط الماضي على الحاضر ، أو قضية الحاضر نفسه ؟

٣ ـ هل نختار التراث أولا ، ثم نختار المنهج الخاص بدراسته ثانيا ، أو العكس ؟

---

(١) : انظر : العرب المعاصرون والتاريخ العربي ـ د٠ شكري فيصل ، مجلة ـ المعرفة ـ السورية ، ع١٨٥، تموز ١٩٧٧ ـ ص ١٩٠ ـ ١٩١ ٠

التراث والمعاصرة

الدكتور محمد خير الحلواني

ـ ١ ـ

لم يظهر لي محققا الا هذا الكتاب الذي قرأت ، غير أنني أمتلك مخطوطة انتهيت من تحقيقها ، ولم أدفعها الى المطبعة لانه بلغني أن منها نسخة خطية في برلين ، ولا بد من الاطلاع عليها ومقارنتها بالمخطوطتين اللتين اعتمدت عليهما سابقا ٠

أما علة انتقائي لهذا الكتاب دون غيره فقد خضعت لملابسات لك أن تقول انها شخصية ولك أن تقول انها عامة، فقد كنت أعد بحثي عن (الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة) وكان لا بد لي من مراجعة كل ما كتب في الموضوع قديما وحديثا ، وهذا الكتيب يمدني بكثير من مواد الدراسة لقدمه ٠

أما الملابسات العامة فهو قيمته التي تحدثت عنها في مقدمة التحقيق ،فهو كتاب يكشف عن جانب مهم من جوانب الدرس اللغوي عند القدماء ، ويعرض لمنهاج يجمع بين ـ الوصفية ـ والتعليمية ، وان كان حظ الثانية أوفر وأوضح من حظ الاولى ٠

ـ ٢ ـ

أنا لا أعتقد أن هناك طريقة سلفية في فهم التراث تنفصم فيجوهرها عن فهم الطريقة غير السلفية ،لان التراث عند الجميع هو الحضارة العربية القديمة ، أو هو الفكر العربي نفسه ، بل هو في مجموعه شريحة لتطور الفكر العربي وما أصابه من ازدهار ، وما أصيب به من نكسات ٠

ولا أتصور واحدا ممن يتهمون بالسلفية يقف عند حدود الاعجاب بالتراث ، أو عند حدود الدعوة الى القديم لقدمه ، أو عند حدود المحاكاة المجردة من أي غرض فكري أو قومي ٠

والحق اننا اليوم نمثل حلقة من حلقات التطور التاريخي في حياة الامة العربية ، وما فكرنا الا امتدادا لفكر آبائنا مع ملاحظة اختلاف المصدر الاجنبي الذي مس الفكر القديم ، وغزا الفكر المعاصر ، والفرق ـ على ما أظن ـ واضح بين ـ المس ـ و ـ الغزو ـ فتراثنا القديم يصور لنا الفكر العربي مقتبسا من المناهل الثقافية الكثيرة ، ولكنه اقتباس الواثق من نفسه ، الذي يمتلك ـ الشخصية ـ الثابتة،ومنهنا يطوعما يقتبسهويخضعه لمفهوماته وعقائده انه يضيع المصدر الاجنبي في شخصيته المتعالية ، ولا يضيع شخصيته فيما يغزوه ، أما فكرنا اليوم فتابع ، ضائع ، مضطرب ، لان المصدر الاجنبي لميمسه مسا ، بل غزاه وكاد يقتلعه من جذوره ، ويذيبه في معطياته ٠

ـ ٣ ـ

وعلى هذا لا يمكن أن يكون التراث ـ قضية الماضي لذاته ـ ، ولا هو ـ اسقاط الماضي على الحاضر ـ ، اذا كان ـ الاسقاط ـ يعني ضربا من ضروب الموازنة ، أو ضربا من ضروب الاملاء بل ان التراث هو السبيل الصحيحة لفهم النفس العربية ٠

ان المنقول من تاريخ العرب السياسي هو ـ كما تعلم ـ أشبه بحكايات ألفها الساسة المتسلطون على الحكم ، وجعلوا أبطالها أعداءهم من الساسة ـ المقلوبين ـ ٠٠٠ هكذا أفهم تاريخ يزيد بن معاوية ، والامين بن الرشيد ، وهكذا أفهم تاريخ السلطان عبد الحميد نفسه ٠

واذن ، فان تاريخنا السياسي مشوه وعاجز أن يقدم صورة صادقة عن النفس العربية بجميع أبعادها ومن هنا يأتي التراث ، وحده الصادق المشرق في حياتنا القديمة ، ليضع بين أيدينا الفكر العربي وتمثله لثقافات عصره المتنوعة وتطويعها لعقيدته ٠ انه يفهمنا أنفسنا في الماضي ، واذا وصلنا الى هذا بصدق وعمق عرفنا مواضع أقدامنا واستطعنا تحديد الخطأ ٠

ـ ٤ ـ

أعتقد هنا أن عملية الاختيار في بدء نشر التراث وهمية ، لان الامة لا بد لها في اختيار ما تنشر من تراثها ، وهمية ، لان الامة لا بد لها في اختيار ما تنشر من تراثها ، والاحاطة ، وعندئذ تكون قادرة على أن تختار من تراثها ما تختار ٠ وكذلك لا يمكن أن تقوم دراستها على منهج تختاره ، لان المنهاج انما ينشأ عفوا من وعي الامة الثقافي والقومي ، فحين تدرك أن تراثها جزء منها يتولد من هذا الادراك منهاجها الخاص في الدراسة ٠

أما عملية الاختيار فتجعل التراث والمنهاج ـ موجودين ـ مسبقا قبل الوعي الثقافي والقومي ٠

وأستطيع أن أقول بصراحة ان المحققين العرب لم يقوموا بنشر ما نشروه من التراث الا بدوافع ـ أكاديمية ـ صرف ، وعلى الجيل الحاضر أن يعد الدراسات حول ما نشروه ٠٠ انهم كالشعراء أو كالمبدعين عامة ، عليهم أن يقولوا وعلى النقد أن يختط المناهج لدراسة ابداعهم ٠

التراث بين

الغيارى والعابثين

غازي طليمات

□ الطريقة السلفية في فهم التراث ومعالجته ، وفي فهم العلاقة بينه وبين واقعنا الاجتماعي الحاضر .

ما صدى هذه المقولة عندك ؟

● نام العرب أربعة قرون ، في ليل لم يعرف تاريخهم أبعد منه فجرا ، ولا أحلك منه ظلمة . ثم أيقظتهم مدافع نابليون ، فاذا هم أمام حضارة وافدة ، بهرت عيونهم ، ووضعت بين أيديهم علوما تجريبية ، لها طرائق وأساليب ، تتمخض كل يوم عن عجيبة . فقارنوا ما اكتشفوا بما ألفوا وقاسوا الجديد بالتليد ، فاذا هم الساقة بعد أن كانوا الرادة .

انطوى جيل الدهشة ، وجاء جيل العمل . جاء جيل جاد ، درس أساليب الغرب في الغرب ، أو تتلمذ على أيدي مستشرقين ، فكان من هذا الجيل المخدوع بالرواء الغافل عن القصد ، فأساء من حيث قصد الى الاحسان ، وكان منه المقيم على ما ورث يحفظه بلا نقاش ، ويرفض ما عداه بلا نقاش ، وكان منه المنصف الغيور على القديم في غير افتتان بالحديث .

هذا الفريق الثالث اضطلع بالعبء خير اضطلاع . اذ بسط — ورجلاه مغروستان في أرض الشرق — ذراعيه الى الغرب ، كالشجرة المادرة ، تشمخ وتتفرع ، لكنها لا تنتزع جذورها من الارض ، لايمانها بأن النسغ الذي تمتصه من التراب يعدل الانفاس التي تنشقها من الهواء .

درس هذا الجيل العظيم تراثنا دراسة علمية وافية ، جمعت دقة المستشرق الاجنبي الى رهافة الحس العربي ، والاخلاص للحق الى الحمية القومية . فاعتدل ذوو الشطط وارتد المسحورون بالبريق الدخيل الى جوهرهم الاصيل ، وأعادوا النظر فيما كتبوا ، وأعلنوها توبة نصوحا على الملأ .

هذه الطريقة العلمية — ويحلو لقوم أن يسموها سلفية — نفضت الغبار عن التراث العربي ، فحققت الادب والتاريخ واللغة والنحو والفلسفة . ونشرت الكتب ، وأصحبتها فهارس وتعليقات . لكنها درست التراث بالتراث ، فأضاءته بشمس الصحراء الجاهلية ، أو بشموع الحضارة العباسية ، لا بمصابيح الكهرباء ، ولا بالاشعة السينية . واستلهمت من الماضي الذي تجثو في محرابه مفاتيح الكنوز المغلقة ، فأسلس لها العصي ، ودنا منها القصي . ولو أنها دمرت الاقفال بالديناميت الاوروبي لدمرت الكنوز نفسها .

ان الحذر الذي اعتصمت به الصفوة من محققي التراث العربي ودارسيه وقفها على أسرار عظيمة ، وهيأ لهذه الاسرار أن تغدو وجدان الامة ، وأن تضيء جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية المعاصرة ، فكان ربطها الحاضر بالماضي عفويا ، وكانت تربيتها للخلف على قيم

السلف لينة ، لا تقوم على اعتساف ، متسامحة لا تؤرج العصبية ، ناقدة لا تقر التخلف ،متقدمة لا تعرف الرجوع٠

وهي التي صنعت الحركة العلمية الخيرة في فترة ما بين الحربين ، ومهدت للثورات الاجتماعية بعد الحرب الثانية ٠

س٢ : هل التراث قضية الماضي لذاته ، أو اسقاط الماضي على الحاضر ، أو قضية الحاضر نفسه ؟

ج٢ : الفصل بين ماض وحاضر ومستقبل عسير بل مستحيل ، كالفصل بين الامواج المتلاحقة في نهر متدفق بخط على خريطة ٠ ان انسياب الماضي في الحاضر حق لا يحتمل جدلا ،ولهذا فمن الصعب أن نتصور دراسة الماضي معزولة عن دراسة الحاضر ٠وتشتدُ هذه الصعوبة كلما اشتد تأثير الحضارة القديمة في الحياة المعاصرة ، وما أعتقد أن في أمم الارض شعبا كالشعب العربي يرتبط حاضره بماضيه ارتباط معايشة ، لا ارتباط آثار ومتاحف٠ فنحن نتكلم لغة امرىء القيس ، ونؤذن بصوت بلال ،ونحيا بمثل أبي الطيب ، فما ضينا حي في حاضرنا ٠

تراثنا اذن مخيم على واقعنا ، أو متغلغل فيه ، شئنا أم أبينا ، وهذا التغلغل يكاد يدفع المتأمل في قضية التراث الى الاقرار بأنها قضية الماضي والحاضر معا ، لاقضية الماضي وحده معزولا مفصولا ، ولا قضية الحاضر وحده متحيزا متميزا ٠

أما الاسقاط الذي يشير اليه السؤال فأمر يكتنفه خطر شديد ، وسر الخطورة فيه أن فئة من المتحمسين لاراء اعتنقوها ، يبحثون عما يناصرهم في التاريخ ، فمتى ظفروا بحبة نفخوها قبة، ثم استظلوا بمنطادها المنفوخ،أو حلقوا به ٠وزعموا أن مايدعون اليه ليس الا كنزا اكتشفوه بمصباح علاء الدين السحري ، أو برحلة من رحلات السندباد ٠

على هذا النحو من الاسقاط المتكلف يعتسف قوم ، فيحكمون ـ الليبيدو ـ بعمر بن أبي ربيعة ، وعقدة ـ أوديب ـ بالمنتصر قاتل أبيه المتوكل ، ويفسرون هجمة الزنج على البصرة واحراقها تفسيرا ماديا ، ويغفلون العوامل التاريخية والثقافية ، ثم يبنون على تخميناتهم نتائج غير يقينية ٠

وباختصار أقول :

ان اسقاطا منهذا النوع ينتهي الى السقوط !!سقوط الدراسة والدارس ٠ أما المدروس فله من عراقته عاصم ٠

س٣ : هل نختار التراث أولا ، ثم نختار المنهج الخاص بدراسة ثانيا ، أو العكس ؟

ج٣ : كل علم من العلوم يفرض أسلوبا محددا من أساليب البحث ٠ فالفلك يملي على صاحبه الاجتزاء من أساليب البحث بالملاحظة ، وعلوم الطبيعة تتيح لذويها الملاحظة والاستقراء والتجربة ٠ ولهذا يصعب على الباحث في أي علم من العلوم أن يختار الطريقة أولا ، والموضوع بعد ذلك ٠ اذ لو فعل لشقت عليه أمور ، ونهضت في وجهه عقبات لا يقوى على فعاليتها ، لانه يسير في غير الطريق المفضي به الى الغاية ٠

هب فلكيا غار من فيزيائي ، فأحب أن يحاكيه في تجاربه، فهل يستطيع أن يفجر الاجرام السماوية كما يفجر عالم الطبيعة النواة ؟ لابد ـ والعلاقة بين العلم وطريقة البحث فيه ما ذكرت ـ من خضوع الباحث لطبيعة البحث ٠ وهذا الخضوع يفرض على المشتغلين بالتراث أن يستنبطوا مناهجهم من التراث نفسه ٠

فمحقق الحديث ودارس التاريخ لايستطيعان اسقاط السند من الحساب ، في كل أثر ينقلانه ، أو خبر ينقدانه ، وناقد الشعر لا يحق له التملص من قواعد اللغة ، وهو يفسر بيتا ، أو يذوق جمالا ٠ والعاكف على فلسفة العرب لايتاح له أن يتجاوز الفكر الاسلامي الذي مازج فلسفة يونان ، ليطبق المناهج المادية على الفكر الفلسفي العربي٠

ان المنهج السليم يستوحي من طبيعة البحث ، وينبع منه ، ولا يستورد ليلصق به أو يوضع عليه ، كما يضع الناشئة على رؤوسهم وصدورهم شارات أجنبية ٠ غير أن هذا لا يعني غض البصر عن المناهج الاوربية الحديثة ، أو تجاهلها ٠ ففي الغض وفي التجاهل خسارة كبيرة للبحث ٠

علينا أن نستعين المناهج الحديثة لا أن نتولاها ، وأن نأخذ منها لاساليبنا ، لا أن نطرد بها أساليبنا ، وأن نقوي بها التراث ، لا أن نلغي بها التراث ٠

حمص ـ غازي طليمات

خلفيات التراث والمعاصرة

هيفاء كالو

ـ ١ ـ

ـ كثيرا ما نقلب في صفحات التاريخ فنرى أسماء أمم وأقوام ودول تكاد تكون غريبة على مسامعنا · أو نكاد نسمع بها لاول مرة ، فنقف متسائلين أمام أنفسنا لاننا لانملك من ألوان المعرفة ما يوضح لنا حقيقة هذه الامة وواقعها ، لقدم عهدها وقلة الوثائق والمستندات التي تجلي أمرها · واذا ما عدنا الى مصادر التاريخ فلا نرى الا الشيء اليسير · أو نكاد لا نعثر لها على شيء ·

ـ وقد حدثنا القرآن الكريم عن كثير من الاقوام كقوم العمالقة وعن عاد وثمود · ولكنا لم نعثر لهم على شيء مما يطلعنا على واقع أمرهم · وذلك لبعد عهدهم وضياع اثارهم ·

كما حدثنا عن بعض الدول القوية المنيعة · وحدثنا عن حضارتها · كدولة سبأ اليمنية · واستطعنا أن نقف على جزء من عظمتها عن طريق تراثها العمراني الذي خلفته · وسد مأرب العظيم هو مصدر اعتزازها وفخرها ·

ـ فالتراث هو الامة · لانا من خلاله نلمح حضارات الامم التي مرت عبر الزمن الطويل · ويطلعنا على مشاعل العلم والمعرفة التي مازالت تمدنا بنورها حتى اليوم ·

وقضية التراث مشكلة اساسية وجوهرية في عصرنا هذا· نوليها الكثير من العناية والاهتمام · فهو كنز الماضي والاساس في بناء الحاضر والمستقبل· وهذه القضية لانستطيع أن نحدها بحدود المصطلحات العلمية الحديثة · لانها ضيقة في أفقها ، ولا تستوعب الماضي الطويل بكل مافيه · وهو مادة علمية وجدت أمام أعيننا وبين أيدينا موضوعة بطريقة ما · ولكن الباحثين والعلماء والدارسين الذين وقفوا حياتهم على معرفة هذا التراث وكشف النقاب عنه لنشر حقائقه ، أوغلوا الطريق في معرفته · وكان لكل منهم رأيه الخاص · لذا فقد تعددت الاراء حول فهمه · واختلفت وجهات النظر في طريقة تناوله · وبذلك تعقدت الامور وتشابكت حتى بات التراث قضية معضلة وهو في بينة من أمره · حيث أنه ليس وقفا على زمن ما أو أمة ما · ولكن هو سلسلة متعاقبة لتعاقب الحياة واستمرارها بين الشعوب والمجتمعات · فما تركته الدولة البابلية من شرائع وقوانين كان تراثا بالنسبة لما بعدها من الدول · وما كتب في زمن الرسول وحياة الاسلام الاولى يعتبر تراثا بالنسبة للدولة العباسية · وما دون في العصر العباسي يعتبر تراثا لنا · وما يدون في عصرنا هذا سيكون تراثا في المستقبل البعيد ·

ولكن كيف كانت المحاولات حول فهم التراث ومعالجته ؟

نحن لا ننسى جهود العلماء في جمع التراث الذي لعبت به عوادي الدهر كان لهم جهود جبارة في جمعه وترتيبه ، بحيث يسهل الاطلاع عليه ودراسته ٠

والغاية من دراسته تحقيق الفائدة التي يحتاجاليها العصر ٠ لذا نرى بعض الاختلاف بين علماء عصرنا الحالي وبين علماء القرون المتأخرة حول مفهوم التراث والغاية منه ٠

ـ واذا عدنا الى الوراء بضعة قرون الى القرن الخامس والسادس الهجري حيث سميت هذه الفترة بعصر الانحطاط ٠ وفي الحقيقة لايصح أن نطلق هذه التسمية على عصر مثل هذا العصر ٠ لانه في الحقيقة لم يكن انحطاطا في حياة الامة وتراثها وانما كان انحطاطا في القرائح والموهبة الشعرية ومردها اضطراب الاوضاع الاجتماعية والسياسية ٠ ولكن هذه الحالة السيئة كانت حافزا على بعث الامة العربية واحيائها ٠ فتضافرت جهود العلماء لنشل هذا التراث من براثن الضياع فكثرت الكتابات والتاليف في شتى علوم الحياة ومعارفها حتى سمي هذا العصر بعصر الموسوعات العلمية ، وكانت جود العلماء تقوم على دراسة ما وجد أمامهم من علوم ونظريات ثم بناء ما يمكن أن تحصل الفائدة فيه ، وعلى سبيل المثال اذا أخذنا علم النحو في العربية نلاحظ أن أبا عمرو بن العلاء هو واضع علم النحو وأما سبيويه وغيره من العلماء ممن جاء بعده حاول دراسة هذا العلم وتقعيده في قاعدات مؤيدا بالشواهد والامثلة ٠ ثم كانت جهود أخرى لبعض العلماء الذين شاعت بينهم بعض الخلافات في وجهات نظرهم حول بعض القواعد فكانت المدرستان البصرية والكوفية ثم تطورت المسائل في هذا الباب حتى بات لدينا المدرسة المصرية والشامية ٠ ومعنى هذا آن العلوم الاولى من هذا الفن تطورت كثيرا عن واقعها وأصل منشئها تبعا لتطور الاراء الملائمة لثقافة ذلك العصر ٠ وبهذا نجد أن كل عصر قد ترك لمسات واضحة حول مفهوم هذا التراث توضح ثقافة هذا العصر ومناحيه الفكرية ٠

ـ ٢ ـ

● وهذا يدلنا على أن العلماء قديما درسوا الماضي من أجل ترسيخ دعائم الحاضر والبناء فوقه ، والافادة من عيوب الماضي وخلله لتحاشيها والابتعاد عنها ٠

ـ أما علماء هذا العصر فقد اختلفت آراؤهم لاختلاف ثقافاتهم الشخصية ٠ لقد نظروا الى التراث فوجدوا فيه ما هو غث وما هو ثمين ٠ فأخذوا الجيد لذاته ٠ وعزفوا عن دراسة هذا الغث ، ومنهم من أنكره لوجود الغثاثة فيه ٠ ولا شك أن هؤلاء لم ينظروا الى التراث بعين العقل الواعي المتفهم ، لان العمل مهما توضحت أصالته وجودته ،فلا بد من شوائب تترسخ في القاع ٠ فالذهب من أثمن المعادن ومع هذا فلا بد من شوائب تدخل في تركيبه ٠

وعلى هذا فالتراث هو ماضي الامة وسجل حياتها ٠ وهل حياة الانسان قاصرة على البطـــولات فقط دون الانكسارات ؟ أعظم رجال العالم كان لهم انتصاراتهم كما كان لهم اخفاقهم ٠ وان هؤلاء العظماء لم ترفضهم لوحة البطولة لوجود ما يشوب حياتهم ٠٠ وهكذا علينا أن نفتح صدورنا وأعيننا لدراسة تراثنا بما فيه ، انه أساس بناء الماضي واللبنة الغضة في بناء الحاضر والمستقبل ٠

فجدير بنا أن ننكب على دراسته للوقوف على مواطن الفخر في تاريخنا وعلومنا ومعارفنا ٠ فالغث فيه لا بد من ظروف أحاطت به وجعلته يهوي عن مكانته ٠ ولعل هذه الظروف تتجدد في تاريخ حاضرنا ٠ وبالتالي سيضم تراثنا من الغث كما ضمه قديما ٠ ولكن استدراك الامور قبل فواتها لابد أن يجعلنا نحيد عن الخطأ ونفوز بالصواب ٠

وقد أكب العلماء في بداية عصر النهضة على دراسة ماضي الامم العريقة متلمسين مكامن القوة والضعف متخذين ذلك أساسا في بناء حضارتهم وثقافتهم ولم يقصروا جهودهم على دراسة الثقافة والتراث الغربي وانما درسوا

الشرق واستفادوا من علومه ونهلوا من مناهله الفكرية ٠ مما دفع بهم أشواطا بعيدة في مضمار الرقي والتقدم ٠ فالعلوم العربية مازالت تدرس في أعظم وأقدم جامعات العالم كالطب والكيمياء والفلك وحتى العلوم النظرية ما زالت تسير جنبا الى جنب كغيرها من العلوم أما العلماء العرب المتأخرون فقد تأثروا بالمنطق ٠ وصبوا نتاج عقولهم في قوالب المنطق الجامدة ، فأفقدوها مرونتها وجمالها حتى أن أجمل علوم اللغة أفقدوها سحرها عن طريق التسميات العقيمة ، كعلم البلاغة الذي تعددت حوله وجهات النظر في دراسة الصورة الشعرية ٠ وكان لكل رأي مدرسة تختص به ٠ وقد امتدت جذور التأثر الى عصرنا هذا بالاضافة الى التأثيرات الاخرى من تيارات الثقافة الوافدة ٠

فهم من أدرك أنه قضية الماضي لذاته ٠ وكان الغرض منه دراسة الماضي من أجل الماضي ٠ مقيدين بذلك أن ما حدث في الماضي لا يحدث في عصرنا هذا لاختلاف العصر والزمن ٠ وقدموا مثلا على ذلك ٠ أن الحروب في القديم كانت على شكل غزوات ومعارك كان سلاحها هو السيف والرمح والفارس الشجاع والخيل الاصيل ٠ ويقولون ٠ فأين نحن اليوم من هذه الوسائل والمعدات ؟ ٠ ونحن نرد على هؤلاء ٠ بأن شجاعتنا اليوم مستمدة من شجاعة الفارس القديم الذي ترنم به الشعر وحدثتنا عنه روايات البطولة ٠ بالاضافة الى القول ٠ بأهمية هذه المعارك الحربية البسيطة اذا ما قيست بمعارك اليوم ٠ ألم نجد أو نلمس الخطط الدفاعية التي مازلنا نستعملها عنهم حتى الان ؟ ٠ فالترتيب الذي أجراه خالد بن الوليد في معركة اليرموك بتقسيم الجيش الى ميمنه وميسرة ومقدمة ومؤخرة ووسط ٠ مازالت من الخطط الحربية الناجحة ٠

ومنهم من أدرك أنه اسقاط الماضي على الحاضر ٠٠ فلا غرو في القول أو الرأي ٠ فلا بد للقديم أو الماضي من ظلال يرخيها على الحاضر ٠٠ وهذا حاصل بالفطرة نتيجة التأثير والتأثر ، وهو خير ما يوضح عوامل التطور والتقدم، أو التخلف والركود ٠ فاذا ما تمثلنا الادب أو الشعر العربي لتوضيح هذا المفهوم ، فاننا ننظر الى العصر الجاهلي كمصدر وقياس للجودة والاصالة في الشعر بكل دعائمه ٠ ثم ننظر الى الشعر في العصر الاموي والى احتفاظه بكثير من خصائص الشعر الجاهلي (أو بمحافظته على هذه الخصائص) ثم الشعر في العصر العباسي وما نلحظ فيه من تطور ٠ وقد اعتبر هذا العصر بداية للتطور والتجديد في عمود الشعر ٠ ثم تنازع الشعراء فيما بين أنفسهم بين القديم والجديد ٠ وخير شاهد على هذا الشاعر بشار بن يرد ٠ الذي حمل لواء التجديد من حيث الشكل والمضمون كما كان له قصائد في القالب القديم ٠ وظل التطور يرافق الشعر في مسيرته ٠ حتى وصل الينا الشعر الاندلسي محللا من القافية والوزن والعمود الممثل في شعر الموشحات والزجل ٠ وهذا التطور خضع لظروف تحددها اتجاهات هذه العصر ٠

واذا ما نظرنا الى شعر شعرائنا المحدثين والى ألوان الشعر ندرك أن جذور التطور امتدت اليهم ووصلتهم عن طريق محاكاتهم للمدارس الشعرية الغربية الحديثة ٠

ومنهم من أدرك أنه قضية الحاضر نفسه ٠ فنحن لسنا عادلين اذا اعتبرنا أن الماضي هو الحاضر نفسه لان ظروف الماضي تختلف عن ظروف الحاضر ٠٠

وأن العوامل التي أثرت في تطوره غير العوامل التي تحيط بنا ٠

اذا نظرنا الى العلوم في الماضي ٠ فقد نراها نظرية وقاصرة على الشرح والتفسير أما الان فقد دخل العلم عصر الالة التي هي الاساس في تطبيق هذه العلوم وأن هذا التطور في العلوم التطبيقية خضع لظروف ومؤشرات لم يتعرض لها الماضي ٠

ولهذا فالغاية من التراث هو ادراك الماضي للوقوف على خطا الحاضر ثم بناء الحاضر مستفيدين من دعائم الماضي ٠

ـ ٣ ـ

منهج البحث علم قائم بذاته ومعرفته توضح لنا سبل الطريق لدراسة التراث ٠ فلكل لون من التراث المنهج الخاص بدراسته ٠ المنهج في دراسة العلوم النظرية غيره في العلوم التجريبية ، غيره في العلوم المادية كعلم الاثار والجيولوجيا التي تقوم على ماهو قائم بذاته أمامهم ٠

ولهذا فالتراث متعدد الجوانب والالوان فيه العلوم النظرية والعلوم التطبيقية وتختلف هذه عن تلك في طريقة عرضها وتناولها ٠ العلوم النظرية استقرائية بينما العلوم التطبيقية تجريبية قائمة على التجربة ثم الدليل والبرهان للوصول الى الحقائق والمعارف الكلية ٠

فاذا وقفنا على دراسة التراث ، علينا أن نختار المادة الخاصة بالبحث ثم السعي الى المنهج الذي يوضح حقيقةهذه الدراسة ويضمن البناء السليم ٠

ومثالا على ذلك دراسة اللغة في جذورها ٠ كانت العملية في بدايتها قائمة على الجمع ثم الاستقراء لاستنباط الاحكام والقوانين ٠

فقد قام العلماء بجمع اللغة من أفواه الاعراب البعيدين عن الاختلاط لضمان سلامة اللغة وما ينطقون به، وبعد أن توضعت اللغة في كتب ومدونات قام العلماء بدراسة هذه اللغة فوجدوا كثيرا من المفردات العربية التي تدل على معنى واحد ٠ فكان باب المترادفات في اللغة ٠ ثم لاحظوا بعض المفردات التي تعطي معنيين متضادين ٠ معنى الشيء وعكسه ٠ ككلمة ـ جون ـ التي تعني الابيض والاسود ٠ فجمعوهم في باب التضاد ٠ ثم لاحظوا بعض الكلمة التي ليست من اللغة في شيء حيث لافعل لها ولا وزن ولا تصريف ككلمة القسطاس والصراط ٠ والتنور ٠٠ والبلور ٠ فأدركوا أن هذه ليست من صلب اللغة وانما دخلت اليها عن طريق الاختلاط بالامم الاخرى ، فجمعوا ما يشبه هذا في باب عرف بباب الدخيل ، ثم لاحظوا بعض الالفاظ الغريبة ـ الدخيلة ـ ولكنها لم تبق على حالها وانما تغيرت بعض الشيء ٠ مثل لفظة ـ الطشت في العربية والتي هي في الاصل الطست بالفارسية وسمي ما يشبه هذا بالمعرب ٠ وسمي بباب المعرب ، وظلت عملية الجمع قائمة على الاستقراء والتنسيق حتى وصلتنا كاملة في بحثها ودراستها ٠ وبعد هذا انصرفوا الى دراسة اللفظة الواحدة من حيث التركيب الدلالي والتطور الدلالي للفظة من حيث مخارج حروفها وصنفوا الاحرف بحسب مخرجها ٠ فكانت الاحرف الشفوية واللثوية والسنانية والحلقية ٠

وهذا ما هداهم الى علم الاصوات الذي حظي باهتمام بالغ عند النحوي واللغوي ابن جني وقدم لنا في هذا الميدان الاراء والنظريات المبتكرة في هذا اللون من البحث الذي تعتز به المدرسة الغربية لدراسة علم اللغة وتعتبر أن لها السبق الاول في هذا الميدان ، وحقيقة أن انصراف العرب عن دراسة تراثهم هو الذي أعطى المجال للغرب أن يفتخروا بعلمهم هذا دون الاعتراف بما كان للعرب من فضل في هذا العلم ٠

في هذه السلسلة المتصلة من الدراسة يتضح لنا كيف تم الوصول الى هذه الحقائق في علوم اللغة ويطلعنا أن التوصل الى هذه العلوم لم يكن اعتباطا وانما كان وليد دراسة متأصلة وبحث متقن ٠

وطبيعة هذا المنهج الذي تم السير عليه لدراسة اللغة لا يمكن أن نسير فيه لدراسة الادب ـ الشعر ـ أو البلاغة فللشعر المنهج الخاص لدراسته ٠ والبلاغة لها منهجها الخاص لدراستها ، ومعنى هذا أن لكل مادة منهجها الخاص لدراستها ٠

الاتجاه نحو الواقعية الانسانية

في

قصص رستم كيلاني

بقلم : عبد الرحن شلش

كانت الواقعية الانسانية ـ وستظل ـ رافدا من أعظم روافد ذلك النهر الكبير ـ نهر الانسانية المتدفق تياره عبر الزمان والمكان .

ولعل أهم ما في المدرسة الواقعية ، الصدق في التعبير عن التجربة الفنية بحيث يتكافأ هذا الصدق وحرارة التجربة .

وقد يخيل لنا أن المدرسة الواقعية تبتعد عن الصبغة التصويرية الفنية لاقترابها أشد الاقتراب من الواقع والتحامها معه . لكنها على العكس ، فالمدرسة الواقعية بالرغم من حرصها دون سائر المدارس الادبية الاخرى على نقل الواقع نقلا صادقا سليما ، الا أنها ظلت ـ في الوقت نفسه ـ بعيدة عن نقل هذا الواقع بشكل فتوغرافي .

ان المدرسة الواقعية رفضت الذاتية والفردية المطلقة .. تلك القيم الفنية التي نادى بها كل من الكلاسيكيين والرومانسيين . وقد بدا واضحا أن الواقعية تهدف الى تخليد الانسان وتقف منه موقفا متعاطفا .

لهذا ، فقد اهتمت المدرسة الواقعية بالانسان ، وقطعت العهد على نفسها بأن تحمل ذلك المضمون الانساني من خلال نظرتها الشاملة للحياة الانسانية بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات . فالواقعية تتمثل في مدى تصوير العمل الفني لمشاعر الانسان العادي وانفعالاته وأحاسيسه، فكل عمل فني يزخر بعشرات الصور من هذه المشاعر والانفعالات والاحاسيس ، هو عمل يشق طريقه نحو الواقعية . ولا شك ، أن هناك علاقة وثيقة بين الادب

والحياة ، فالادب يستمد عناصره ونماذجه من الحياة ، فالاصل من كل شيء يرجع الى الحياة التي تعد الاساس الذي يقوم عليه العمل الادبي . ولعل العمل الادبي ليس صورة مطابقة للحياة ، بل انه يحاول تصوير الحياة ، لذلك فهو لا يمكن أن يزودنا بشيء خارج نطاقه اذ ان قيمة العمل الادبي ليست فيما يمدنا به من معلومات أو خبرات ، بل ان قيمته تتمثل في الاثر العميق الذي ينعكس في نفوس متذوقيه وأذهانهم .

يقول الدكتور رشاد رشدي في كتابه « ما هو الادب» حول هذا : « من المفهومات الشائعة في وقتنا هذا أن العمل الادبي يجب أن يكون صورة صادقة للحياة وانه كلما كان الكاتب أمينا في تصويره للحياة ازدادت قدرته على الابداع ولقد استولى هذا المفهوم على أذهان كثيرين من الكتاب والقراء ، حتى أصبح المقياس الوحيد الذي يزنون به قيمة العمل الادبي ، فان جاء مطابقا للحياة كان عظيما ، والعكس ان لم يطابق الحياة وشاعت مع ذلك المفهوم ألفاظ عديدة كالواقعية والطبيعية وافتتن بعض من المشتغلين بالادب والنقد في فهم هذه المصطلحات وابتكروا مصطلحات جديدة غريبة مثل الواقعية الزمنية والواقعية المكانية » .

فالصلة بين الادب والحياة تؤكد العلاقة التي تجمع بينهما ، كما أنها تؤكد حقيقة الواقعية في الادب من خلال التعبير الصادق عن مسيرة الحياة ، ومن خلال اضافة لمسات انسانية الى واقع الحياة . ولعل العمل الفني تعبيرا واعيا عن الوجود الانساني يشارك في خلق وتجديد الانسان لنفسه باستمرار . يقول روجيه جارودي : « العمل ليس محصلة لقوى مختلفة .. انه اجابة اجمالية على مجموع الاسئلة التي يطرحها على الفنان كل من عصره ووسطه » .

وفي تصوري ، أن الواقعية في الاعمال الادبية ، هي أن أقرأ أحداث ومواقف مستمدة من واقع الحياة ، وأن أعجب وأرثى لشخوص تعيش بيننا أو بعيدة عنا ، ولكنها لا تختلف في جوهرها عن شخوص نصادفها في حياتنا ، ونلتقي بها ، ونحادثها عشرات المرات . حقيقة .. لقد كان لشيكوف ـ كما قال ميدلتون مري ـ : « أول من حقق المثل الاعلى للواقعية بين الكتاب المحدثين فتشاؤمه ونظرته الى الحياة تبدو وكأنها ليست نظرة شخصية خاصة ، بل نظرة أهل عصره » .

وهناك أمثلة عديدة للواقعية في أعمال أدبائنا ، فالايام للدكتور طه حسين ، وسارة للعقاد وعودة الروح لتوفيق الحكيم ، وشمس الخريف لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وقرية ظالمة لمحمد كامل حسين . كل هذه الروائع الادبية وغيرها تعد من أعظم ما كتبه رواد القصة المصرية التي تقف جنبا الى جنب مع الاعمال الادبية في الآداب العالمية مثل الحرب للويجي براند يللو ،أو العجوز والبحر لارنست هيمنجواي ، أو المعطف لجوجول ، أو لمن أسرد أحزاني لتشيكوف ، وغيرها من روائع أشهر أدباء العالم .

ولعل أعمال شكسبير ، هي أعمال واقعية تصور بوعي أدق مشاعر الانسان وأحاسيسه وعواطفه .

في ضوء هذه المقدمة التي آثرنا أن تجيء في البداية كمدخل لدراستنا عن الواقعية الانسانية في قصص الاديب القاص الشاب رستم كيلاني ، يمكننا القاء أضواء على خصائص قصصه القصيرة التي صدرت في الفترة الاخيرة ، من خلال مجموعته « لا ترقبي عودتي» وغيرها من القصص التي نشرت متفرقة في المجلات المصرية والعربية . .

و « لا ترقبي عودتي » هي المجموعة السابعة للكاتب بعد مجموعاته : دموع الذكرى ـ ١٩٦٥ ـ هكذا التقينا ـ ١٩٦٦ ـ الجدران الباكية ـ ١٩٦٨ ـ رفيق العمر ـ ١٩٧٠ ـ قلادة من الشوك ـ ١٩٧٠ ـ هي الحياة ـ ١٩٧٥

يقول عنه رائد القصة المصرية الراحل محمود تيمور ١٨٩٤ ـ ١٩٧٣ : «أقاصيصه تتميز بشفافية تنم عن نفس

خيرة تنطوي على كرم ونبالة واشفاق ·

تقرأ له القصة ، فتحس بأنها وجبة من غذاء فني ، غذاء صحي ، ليس في ألوانه دسم ثقيل ، ولا توابل حريفة ·· انه طعام طيب خفيف وشراب سائغ لطيف ·

النغمة السائدة في انتاج رستم كيلاني القصصي نغمة هادئة ، تهز ولا تزعج ، وتؤثر ولا تثير ، كأنها نسمات الاصيل ابان الربيع ·

أدب رستم كيلاني هو مرآته ·· فاذا رأيته عرفت ماذا هو قائل لك حين يكتب واذا قرأت له تمثل لك شخصه كأنك تراه ·

وان طهرية رستم تنبع من نفس مؤمنة ، مرهفة الايمان » ·

ولعلنا نتسائل : ما هي درجة اقتراب قصص الاديب رستم كيلاني من خصائص المدرسة الواقعية ؟ وهذا ما تحاول هذه الدراسة الاجابة عليه ·

فالقصة القصيرة عند كاتبنا كائن حي يتنفس ، ووجود يموج بالظلال والذكريات والمشاهد والايحاءات واللمسات الانسانية · وكل كلمة ، أو صورة في قصصه ، لا سيما قصصه الاخيرة لها مغزاها ووظيفتها ، والزمان يمتد في القلب بلا حدود ، والمكان يمتد في الحياة بلا أسوار ·

انه يجسد المشاعر والاحاسيس والانفعالات في أحداث وأنماط ومواقف يلتقطها من الحياة حوله ، ويجيد تصويرها بمهارة واتقان ، ففي قصصه نلتقي بالواقع المصري في أبعاده وأعماقه ، وعبر صوره الادبية نتعرف على طبيعة حياة مجموعة من النماذج البشرية الكادحة في مجتمعنا ، فالجو المصري ، وأعماق النفس الانسانية ، وانعكاس العلاقات الاجتماعية ، وصراعها نجدها كلها في قصص رستم كيلاني ·

انه يجيد التغلغل في أعماق نفوس شخصياته القصصية فيجعلنا نعجب أو نرثي لشخوصه · وله براعة في تصوير المشاعر والانفعالات الانسانية ·

فالحقيقة ، ان قصص كاتبنا تنتمي الى المدرسة الواقعية في أدبنا الحديث · ولعل هناك كثيرا من قصصه التي تقترب بدرجات متفاوتة من التكامل والجودة والنضج ، حيث امتزجت فيها عناصر المعنى الانساني بوقع التتابع السردي والبنائي لجسر القصة · ويؤكد هذا قصص :

قلادة من شوك ـ و ـ نفس مطمئنة ـ و ـ وفاء دين ـ و ـ زواج مؤجل ـ و ـ انسان ـ بمجموعته القصصية الخامسة · وقصص : ـ ثم أسدل الستار ـ ولا ترقبي عودتي ـ و ـ التحول الكبير ـ و ـ اليك عني ـ و ـ أبو نبوت ـ بمجموعته السادسة · وقصة ـ رحلت بكبريائها ـ التي نشرت بمجلة الاديب في عام ١٩٧٢ ، وقصة ـ ظلام في ظلام ـ التي نشرت بمجلة الهلال القاهرية عدد شباط ١٩٧٣ ·

وهذه القصص وغيرها تمتاز بواقعيتها ولمساتها الانسانية ، فكاتبنا القاص رستم كيلاني يصور من خلالها أحوال النفس البشرية ، فكان متميزا ـ كما قال محمود تيمور ـ : «بالتوائم والتوافق بين عمله وشخصيته »، ولهذا جاءت قصصه نابعة من روح تفيض بالحب والخير والتعاطف ·

ففي قصة ـ قلادة من شوك ـ يقدم لنا الكاتب صورة لكفاح امرأة مطلقة معذبة واصلت تعليمها حتى تخرجت من الجامعة برغم كل الظروف النفسية المحيطة بها · كما نجد روح الكاتب الخيرة المتعاطفة في قصة ـ نفس مطمئنة ـ التي تصور وفاء الزوجة المخلصة لزوجها برغم مرضها الذي يجعلها تطلب فراقه ، فيتركها ويتزوج من شقيقتها ، ومع هذا تظل وفية ، فترسل لهما هدية في يوم عرسهما ·

وفي قصة ـ لا ترقبي عودتي ـ يهجر الحبيب حبيبته المخادعة قائلا لها : « لقد انتهى كل شيء ولن أعود اليك

مهما فعلت أو حاولت .. لقد أصبح بيت هوانا من خيوط العنكبوت ، ولعبت به الريح ، فتهاوى ، ولا سبيل للعودة ، فلا ترقبي عودتي » .

وفي ـ التحول الكبير ـ نتعرف على قصة الفتـــاة الدميمة التي تفرغ كل همومها في التعليم ، ولكن أمها لا تكف عن مضايقتها ، وتكاد تتحطم نفسيا ، الا أن مشرفتها الاجتماعية تقول لها : « الجمال يا عزيزتي ليس كل شيء في الحياة ، بل هناك الصفات الكثيرة التي تغطي الدمامة ، وهي العلم والخلق والثقافة والروح الجميلة » ، وتفرح الفتاة بتغير موقف أمها وتتهلل أساريرها .

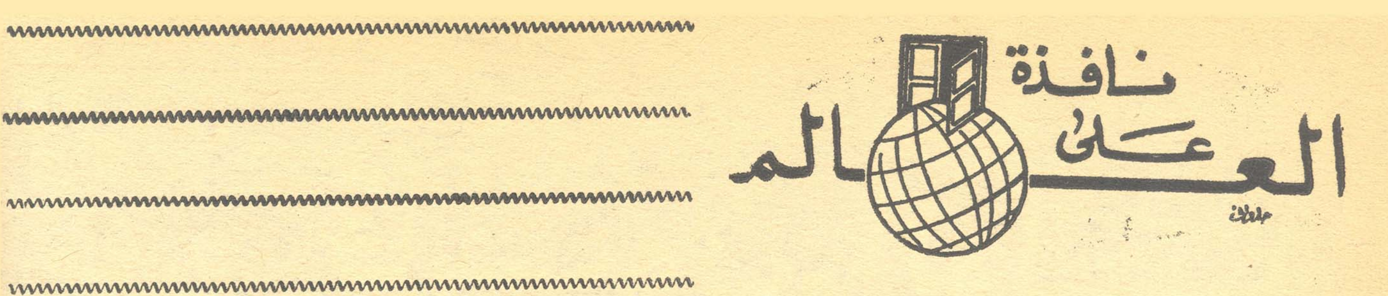
وفي قصة ـ ظلام في ظلام ـ يرسم لنا كاتبنا صـورة صادقة وواقعية وانسانية للام المكافحة الصابرة .

وهكذا نجد قصص الاديب رستم كيلاني مستوحاة من الواقع الذي يعد حقلا خصبا لكاتبنا ، فلا غرو ان قلنا ان قصصه تتميز بواقعيتها وانسانيتها .

وأديبنا يكتب قصصه بلغة عربية فصحى أنيقة مبسطة ورشيقة ، وتشبيهاته مستمدة من البيئة ، ولكن أحيانـا يتسلل الوعظ ـ بشكل غير مباشر ـ في صورة تأملات أو حوار . وفي أحيان أخرى يستطرد في السردة والتقريرية .

تلك هي اطلالة سريعة على الاتجاه الواقعي الانساني في قصص الاديب القاص رستم كيلاني .

القاهرة ـ عبد الرحمن شلش



● «أشعار من أجل الصيف» مجموعة قصائد نثرية – كما أحب أن يسميها – للاستاذ الشاعر اسماعيل عامود ، صدرت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق . هذه المجموعة هي الخامسة عشرة للشاعر . فقد صدر له : من أغاني الرحيل ، كآبة ، قصائد نثر ، التسكع والمطر ، قصائد وأشعار من أجل الصيف ، كتبت قصائد، وأشعار من أجل الصيف ، وهي تتألف من ثلاثة أقسام ، أولها من أجل الصيف كتبت قصائد ، وثانيها أغنيات شاحبة أما قسمها الثالث فهو مع الترانيم .

● من الكتب التي صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق :

– مجموعة شعرية عنوانها – الحصاد – للشاعر علي سليمان .

– الوجه والقناع ، دراسات في الواقع والممكن .

– النقد والحرية ، تأليف الاستاذ خلدون الشمعة .

ومن الكتب التي صدرت عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق :

– الغناء الابدي ، للشاعر خالد محي الدين البرادعي

– جسم الانسان العجيب ، تاليف البيردوكروك ، ترجمة وجيه السمان .

– الرمزية والادب الامريكي ، تاليف تشارلز فيدلسون ، ترجمة هاني الراهب .

– السلطة الشعبية ، تاليف أحمد سيكوتوري ، وترجمة احسان حصني .

● صدر مرسوم باحداث مركز ثقافي عربي سوري في باريس توثيقا للروابط الثقافية بين سورية وفرنسة ، وحرصا على نشر الثقافة العربية ، كما صدرت مراسيم بالترخيص بافتتاح مراكز ثقافية لكل من بريطانيا وألمانيا الاتحادية وأمريكا ، في دمشق .

● – حين تركت الجسر – عنوان الرواية الرابعة للاديب عبد الرحمن منيف ، سبق للكاتب أن كتب ثلاث روايات هي : – الاشجار واغتيال مرزوق ، وشرق المتوسط وقصة حب مجوسية – . سار الكاتب في روايته الجديدة على منهجه السابق ، بعدم تحديد مكان الرواية وزمانها.

● « الاتجاهات الاجتماعية – السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي – كتاب صدر في بيروت لمؤلفه الدكتور وجيه كوثراني ، فيه محاولة لقراءة التاريخ من وجهة قومية بمفهوم علمي واجتماعي واقتصادي وثقافي ، يتبلور في وعي الجماهير العربية ، وفي الكتاب بحوث عن أحداث وقعت بين عامي ١٨٦٠ – ١٩٢٠ .

● – مقام العقل عند العرب – كتاب للاستاذ قدري حافظ طوقان ، صدر من جديد ، الكتاب حاشد بالنصوص والدراسات التي تبين القدرة الابداعية للعقل العربي ، وركز المؤلف على المذهب العربي أو الطريقة العربية في البحث والانتاج الفكري والعلمي ، الذي كان له الاثر الكبير في تقدم المعارف الانسانية ، ودفع الفكر الى مداه البعيد .

● من أخبار التراث العربي ، سيجتمع في – نواكشوط – العاصمة الموريتانية في السابع من شهر تشرين الثاني القادم مؤتمر باشراف جامعة الدول العربية يضم خبراء المخطوطات العربية ، وعددا من علماء أفريقيين ، سيبحث المؤتمرون أوضاع المخطوطات العربية

في أفريقيا ، وسبل تحقيقها ، واستخدام الوسائل الحديثة للمحافظة عليها ، واعداد بحوث عنها •

• ومن كتب التراث التي صدرت ، كتاب «الفصول والغابات» للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ، أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة •

• وحقق الدكتوران محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي كتابا لاحمد بن يوسف ، عنوانه ـ أزهار في جواهر الاحجار ـ ، وصدر في القاهرة •

• ـ أمل جريح ـ ديوان صدر في الرياض للشاعر عبد الله بن سالم ، ضم قصائد اسلامية ووطنية ووجدانية، تغلب الاسلوب الخطابي على بعض قصائده ، بخاصة الاسلامية منها •

• ـ الدين والحضارة الاسلامية ـ كتاب جديد للدكتور محمد البهي صدر حديثا ، يضم الكتاب خمسة فصول هي : الحضارة والمجتمع الحديث • روح الحضارة، البداية من الانسان ، بناء المجتمع ، أمة الخير وعالم الاسلام • يرى المؤلف أن الدين ضرورة في حياة الانسان، وعنصر من عناصر الحضارة ، وان المجتمعات لا تقوم بغير الايمان الذي له الاثر العميق والحقيقي في حياة الانسان والحضارة •

• تعكف مديرية المكتبات في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة على طبع فهرس يعد الاول من نوعه، اذ هو فهرس وصفي للمخطوطات التي تضمها المكتبة المركزية في الجامعة ، وستقوم الجامعة بتوزيعه على المراكز العلمية والمكتبات العامة ، بالتعاون مع المؤسسات الثقافية لخدمة التراث العربي الانساني والنهوض بالبحث العلمي، الى مستواه المنشود •

• ـ الوثائق السياسية والادارية للعصر العباسي ـ كتاب جديد صدر للدكتور محمد باهر حمادة الاستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ، ضم الكتاب في صفحاته لـ ٦١٣ وثائق ووصايا ورسائل سياسية وادارية ، وذيل الكتاب بمجموعة من الفهارس تعين القارىء على كثير من أمور البحث •

• عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المغرب ، صدر الجزء الثالث من الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، للاستاذ البحاثة عبد العزيز عبد الله المدير العام لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي• ولسوف تصدر الاجزاء الاخرى من هذه الموسوعة تباعا •

• من كلية اللغة العربية في جامعة الازهر ، نال حسن أحمد أبو أحمد ، الدكتوراة عن رسالته التي تناول بها القصيدة العربية الغنائية ، وتطورها ، ويقصد الكاتب بالقصيدة الغنائية ، تلك القصائد التي يتغنى بها الشاعر بخواطره ومشاعره ، وينفس بها عن آلامه وأشجانه وما يحيط به من مواقف انسانية ، وبهذا المفهوم درس الكاتب القصيدة ولغتها وأخيلتها وموسيقاها ، وناقش أيضا وجدانيات البارودي وحافظ شوقي ومطران ، وجماعة الديوان ـ المازني والعقاد ـ كما ناقش شعر المهجر والتجديد في القصيدة عند مدرسة ابولو •

• صدر في القاهرة كتاب ـ الموت خلف الفندق ـ للاديب المصري اسماعيل ولي الدين ، ضم ثلاث قصص تجمع بين الاثارة والمتعة •

• وانتهى الاستاذ ابراهيم المصري من اعداد كتابين جديدين هما : ـ النائية والعذراء ـ و ـ عشرة عظماء في الفكر والفن والحب ـ ، ودفعهما الى المطبعة ليصدرا قريبا •

• آخر ما صدر من مؤلفات الكاتب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ، كتاب عنوانه ـ مذهب ذوي العاهات ـ • يفند فيه الكاتب الكبير آراء الشيوعية ضد الدين •

● - النقد المباح والشريعة الاسلامية - ، رسالة نال بها عبد الحميد النجار الدكتوراة من كلية الحقوق في جامعة القاهرة ، تحدث فيها عن أسس حرية الكلمة في الاسلام ، ومكانة النقد ومنزلة العلم ، والمساواة ومسؤولية الفرد والمجتمع ٠

● - مسيرة الفن التشكيلي الكويتي - كتاب ألفه الفنان عبد الرسول سلمان ، وقدم له أمير دولة الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، تناول فيه الفنان نشأة الفن الكويتي ، وعوامل تكوينه ، ودور الدولة والمؤسسات الفنية في نموه ، وتضمن الكتاب دراسات لحياة وأعمال ٢٥ فنانا تشكيليا كويتيا ، بينهم ثلاث فنانات ٠

● الشاعر القطري مرزوق بشير ، قدم رسالة تخرجه من المعهد العالي للفنون المسرحية ، موضوعها - القضايا السياسية في مسرح أحمد باكثير - ، ناقش بها عددا من القضايا ، كقضية الاستعمار ، وقضية فلسطين ، كما صورهما أحمد باكثير في مسرحه ، وناقش أيضا المسرح السياسي في مصر ٠

● - صناعة الغوص في البحرين - كتاب ألفه الاديب البحراني عبد الله خليفة الشملان ، تحدث فيه عن اقتصاد البحرين والخليج العربي ، منذ القديم حتى عام ١٩٣٠ ، وعن الظواهر الاجتماعية والتقاليد العريقة المتصلة بصيد اللؤلؤ وتجارته ، ومراحل الغوص في البحر ، وحياة العائلات التي تعيش عليه ٠

● صدر عن دار المعارف في القاهرة كتاب للدكتور أبو القاسم سعد الله ، تناول فيه حياة الشاعر الجزائري الكبير محمد السيد آل خليفة ، الذي يعد رائد الشعر الجزائري المعاصر ، وتحدث الكاتب عن تطور الادب الذي مر بأربعة مراحل ٠ الكتاب دراسة تقدم بها الكاتب الى كلية العلوم للحصول على الماجستير ٠

● أرجأت الى الربيع القادم ، وزارة الثقافة والاعلام الجزائرية المهرجان الثقافي الذي كان مقررا اقامته خلال شهر آب من هذا العام ، في وهران تخليدا للفيلسوف العربي ابن رشد بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على وفاته ٠ المهرجان سيقام بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ٠

● وفي معهد بورقيبة للغات الحية في تونس ، عقدت ندوة دولية خلال شهر آب الماضي ، حول اللغة العربية والمجتمع في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية الناطقة بالفرنسية هي التي أقامت هذه الندوة٠ قدم الدكتور محمود حجازي ، بحثا عنوانه - المشروعات اللغوية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - في جملة البحوث التي قدمها آخرون ٠

● في باريس ، صدر قاموس خاص بمفردات علم الكهرباء ، ضم نحو أربعة آلاف كلمة عربية ومرادفاتها بالافرنسية ٠ ويقول مؤلفه في المقدمة : - للغة العربية طاقة هائلة على استيعاب المفردات الاجنبية ، فالنحت والاشتقاق يمكنانها من امتصاص الالفاظ وتحويلها الى صيغة عربية أصيلة ، واللغة العربية ظلت حتى أوائل القرن السادس عشر لغة أساسية لنقل المعارف العلمية الى الغرب في الرياضيات والكيمياء والفيزياء ٠

● وفي باريس أيضا صدر كتاب - تجربة الشرق - للكاتب الفرنسي ريني تافرنييه ، أورد المؤلف في هذا الكتاب بعض القضايا المطروحة على الوطن العربي وعلى أوروبا في علاقاتها معه ، بخاصة مع فرنسا ٠ وصحح المؤلف كثيرا من الافكار الشائعة والخاطئة حول الوطن العربي ٠

الكتاب هو الحلقة الاولى في سلسلة جديدة عنوانها - حضور العالم العربي - ٠ قررت دار اليان ميشيل اصدارها ، تحت رعاية الجمعية الفرنسية التي تسمى - معرفة الوطن العربي - ويرأسها النائب الديغولي ريمون اوفروا ٠